

دراسات
في تاريخ المدن الأندلسية
(لاردة - بياسة - أستورقة)

جميع الحقوق محفوظة
الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية
(لاردة - بيّاسة - أستورقة)
المؤلف: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش
الأستاذ المساعد الدكتور حسين جبار العليايوي
الطبعة الأولى: ٢٠١٦
تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠ - ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

دراسات

في تاريخ المدن الأندلسية

(لاردة – بيّاسة – أستورقة)

الأستاذ المساعد الدكتور

حسين جبار العليايوي

الأستاذ الدكتور

جاسم ياسين الدرويش

المقدمة

تعد دراسة المدن وما يدور فيها من نشاطات سياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية وفكرية مهمة لما تسهم فيه من تسليط الضوء إلى دقائق الأمور ورصد حركة التطور الحضاري في تلك المدن ، وهو ما تعجز عنه الدراسات العامة والشاملة للإقليم أو البلد بكامله.

حكم المسلمون الأندلس للمدة بين ٩٢-٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م ، فأقاموا هناك حضارة شامخة تركت بصماتها في التاريخ بحيث يصعب على كل دارس تجاهلها ، وكان من أهم مظاهر تلك الحضارة هي ازدهار المدن في ظل الحكم الإسلامي ، إذ شجع الحكام والأمراء المسلمون هناك وعلى مختلف حقب التاريخ الأندلسي على بناء المدن وتوسيعها وإعمار القديم منها حتى عجت بالحياة في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا للمدن الأندلسية لما تمثله كل مدينة هناك من أنموذج مصغر للتاريخ الأندلسي بكل مراحلها وما يحمله من ازدهار وانحطاط ووحدة وتمزق ، فضلاً عما

تتميز به هذه المدن من خصوصية طبيعية واجتماعية جعلها تتمتع
بكثير من الاستقلال الذاتي ولاسيما تلك التي قامت فيها دويلات
وأسر حاكمة مثل لاردة وسرقسطة وغيرها ، والذي يتصفح التاريخ
الأندلسي يجد عشرات الأسر والدويلات كانت أشبه بدويلات المدن
منها إلى الدول الكبيرة.

وهذا الأمر ينطبق على مدن لاردة وبياسة وأستورقة قيد البحث ،
فقد تناولنا الجغرافية التاريخية لكل منهم وذلك لما للطبيعة من أثر في
مسيرة التاريخ العام ، ثم استعرضنا التاريخ السياسي بدءاً بالفتح
الإسلامي حتى سقوط كل منهم بيد النصارى ، ثم الحركة الفكرية
وإسهامات علمائهم في ميادين العلم المختلفة ، نسأل الله تعالى يجعل
هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم خالياً من الرياء إنه نعم الموفق.

مدينة لاردة الأندلسية

(٩٤ - ٥٤٣ هـ / ٧١٢ - ١١٤٨ م)

الجغرافية التاريخية لمدينة لاردة Lerida :

وهي إحدى مدن الثغر الأعلى الأندلسي^(١) ، وتقع إلى الشرق من مدينتي سرقسطة Saragosa^(٢) ووشقة Huesca^{(٣)(٤)} ، وحدد الإصطخري(ت منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) المسافات بينها وبين مدن الثغر الأعلى قائلاً: (... ومن قرطبة إلى سرقسطة ١٠ أيام^(٥) وإلى تطيلة^(٦) ١٣ يوماً ومن تطيلة إلى لاردة؛

(١) المقرئ، نضح الطيب، ١٦٦/١.

(٢) سرقسطة، وصفها الحميري بالقول: (في شرق الأندلس وهي المدينة البيضاء، وهي قاعدة من قواعد الأندلس، كبيرة القطر أهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع، حسنة الديار والمسكن متصلة الجنات والبساتين، ولها سور حجارة حصين، وهي على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم من جبال قلعة أيوب ومن غير ذلك، فتجتمع هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة، ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة) الروض المعطار، ص ٣١٧.

(٣) وشقة، من مدن الثغر الأعلى الأندلسي شرق سرقسطة، وصفها الحميري بالقول: (مدينة حصينة بالأندلس لها سوران من حجر بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً)، الروض المعطار، ص ٦١٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧ ؛

(٥) اليوم: هو مسيرة

(٦) تطيلة، وصفها الحميري بالقول أنها مدينة (مدينة بالأندلس في جوية وشقة، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، ويظيف بجنات تطيلة=

مراحل^(١)^(٢) ، أما الإدريسي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) فقال: (...ومن مدينة سرقسطة إلى وشقة أربعون ميلاً^(٣) ومن وشقة إلى لاردة سبعون ميلاً ومن سرقسطة إلى تطيلة خمسون ميلاً)^(٤) ، وتتصل أعمالها بأعمال مدينة طركونة Tarragona^(٥) ^(٦) .

وهي مدينة قديمة^(٧) ، أزلية^(٨) ، قال عنها مؤلف مجهول (ت في حدود ١٨٩٥هـ / ١٤٨٩م): (هي جوف من طركونة ، وقبلت من سرقسطة ، وهي على نهر شيفر الذي يخرج من بلاد جليقية...)^(٩) ،

=نهر كائش، وهي من أكرم تلك الثغور تربة يجود زرعها ويدر ضرعها وتطيب ثمرتها وتكثر بركتها)، الروض المعطار، ص ١٣٣ .

(١) المرحلة تعادل مسيرة ٣٧ كم في حالة السير الاعتيادي، كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ٩٧٣ .

(٢) المسالك والممالك، ص ٤٦ .

(٣) الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٥ .

(٤) نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٤ .

(٥) طركونة، قال الحميري: هي مدينة مبنية على ساحل البحر الشامي

ومعالمها باقية لم تتغير، وأكثر سورها باق لم يتهدم، وهي أكثر البلاد

رخاماً محكماً، وسورها من رخام أسود وأبيض، وقليلاً ما يوجد مثله)،

الروض المعطار، ص ٣٩٢ .

(٦) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٣ .

(٧) الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص ٥٠ ؛ الحميري، الروض المعطار،

ص ٥٠٧ .

(٨) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص ١٣١ .

(٩) تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص ١٣١ .

أما نهر شيقر Ryo Jucar^(١) الذي تقع عليه المدينة فإنه ينبع من بلاد جليقية Galicia ويصب في نهر إبرة Rio Ebro^(٢) ، وأسماء الإدريسي نهر الزيتون وقال عنه: (مدينة لاردة... على نهر الزيتون وهو نهر يأتي من جبل البرتاب فيجتاز بحافة من شرقيها إلى لاردة ويجتاز أيضا بسورها الشرقي فيصل مكناسة^(٣) فيصب بها في نهر إيره)^(٤) ، وأشارت المصادر إلى أن هذا النهر يوجد به برادة الذهب^(٥) ، ويصب في نهر إبرة عند مدينة مكناسة ثم يتجه إلى طرطوشة Tortosa ويجري مسافة عشرة فراسخ^(٦) حتى يصب في

١) قال ابن غالب نهر شقر، فرحة الأنفس، ص ١٧؛ وأسماء ياقوت نهر سيقر، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٣؛ أما الزهري فذكره بعدة ألفاظ (سنبورة، سنبر، شلبر)، الجغرافية، ص ٨٢.

٢) نهر إيره، قال ابن غالب: (مخرجه من عين فوق القلاع، ومجره من الجوف إلى القبلية ومصبه في البحر الثاني بناحية طرطوشة وعدد أمياله أربعمائة)، فرحة الأنفس، ص ٣٩.

٣) مكناسة، قال ياقوت: إنها حصن بالأندلس من أعمال ماردة، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٧٣، والصحيح أنها في الثغر الأعلى شرق الأندلس إذ ذكر الإدريسي أن بينها وبين طرطوشة مرحلتان، نزهة المشتاق، ٥٥٥/٢، ٧٣٣.

٤) نزهة المشتاق، ٧٣٢/٢؛ ينظر أيضا: الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص ٥٠.

٥) الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، ص ٥٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص ١٣١.

٦) الفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٩٤.

البحر المتوسط ^(١).

ومدينة لاردة من أمهات مدن الثغر الأعلى الأندلسي ، قال عنها المقدسي (ت٣٨٠هـ / ٩٩٠م) أنها من بلدان قرطبة Cordoba ^(٢) ، وقال عنها الإدريسي أنها مدينة متوسطة القدر كثيرة المنافع ^(٣) ، ووصفها الرشاطي (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) بالقول: (هي حصينة كثيرة المنعة وأهلها موصوفون بالنجدة) ^(٤) ، وتحدث عنها ياقوت (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) قائلاً: (مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة تتصل أعمالها بأعمال طرّكونة منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف) ^(٥) ، وبعثها الزهري (ت منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) بالقول: (لاردة مدينة عظيمة ، لم يكن في بلاد الأندلس في مدة الروم أكبر منها جرماً) ^(٦) ، وأشار ابن سعيد (ت٦٨٥هـ / ١٢٨٦م أو ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) إلى أنها من قاصية ثغور الأندلس ^(٧) ، وقال عنها مؤلف مجهول: (مدينة لاردة كبيرة منحرفة ، لم يكن في بلاد شرق الأندلس أكبر منها ولا أبدع ولا أعظم) ^(٨).

(١) ابن سعيد، الجغرافيا، ص ٨٣.

(٢) أحسن التقاسيم، ص ٥٧.

(٣) نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢.

(٤) الأندلس من اقتباس الأنوار، ص ٥٠.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٣.

(٦) الجغرافية، ص ٨٢.

(٧) الجغرافيا، ص ٥٧.

(٨) تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص ١٣١.

وقد وصف ياقوت مدينة لاردة بأنها كورة^(١) ، ومصطلح كورة عند أهل الأندلس يختلف عما هو في المشرق ، فالكورة في المشرق تتكون من عدة مدن ، أي أن المدن تكون تابعة للكورة^(٢) ، أما في الأندلس فإن الكورة هي التي تتبع المدينة^(٣) ، ومن هنا فإن لاردة تتبعها العديد من النواحي والمدن والحصون ، ذكرت المصادر منها:

١- مدينة أفراغة Fraga ، ذكرها ابن غالب وياقوت ، وقال إنها من مدن لاردة^(٤).

٢- بلشيج: قال ياقوت إنها من حصون لاردة في الأندلس^(٥) ، وجاء اسمها مصحفا عند مؤلف مجهول ، فقال: بليج قرية من بلاد الجوف مما يلي لاردة^(٦).

٣- بلغي: بلغي (Balagure) جاءت عند العذري (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) بلفظ بَلْغَى وقال: إنه حصن كان يخضع إلى محمد بن لب القسوي^(٧) ، وأسمائها ابن حيان (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٤م)

(١) الأندلس من معجم البلدان، ص٢٤٣ ؛ ينظر أيضا: المقرئ، نضح الطيب، ١٦٦/١.

(٢) ينظر عن الكورة في المشرق، ياقوت، معجم البلدان، ٣٦/١ - ٣٧.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٩٢.

(٤) فرحة الأنفس، ص١٧ ؛ الأندلس من معجم البلدان، ص٣٧.

(٥) الأندلس من معجم البلدان، ص٨٣.

(٦) ذكر بلاد الأندلس (تحقيق مولينا) ص٢٢ ؛ وتاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٦٥ - ٦٦ ورجح المحقق لفظ بلج.

(٧) ترصيع الأخبار، ص٣٩.

حصن بلغر وجعلها مضافة إلى لاردة^(١) ، وذكرها ابن غالب بلغير وقال مدينة على نهر شقر وهي من مدن لاردة^(٢) ، وقال السلفي (ت ٥٧٦هـ / ١١٨٠م مدينة بلغي) (من شرقي ثغور الأندلس وما بعدها مدينة يوحد الله فيها ملاصقة الأفرنج)^(٣) ، وأشار ياقوت إلى أنها بلد بالأندلس من أعمال لاردة ذات حصون عدة^(٤).

٤- شبة: وهي إحدى قرى مدينة لاردة^(٥) (ناقص)

٥- فحص مشكيجان: وهو فحص عريض يشرف عليه حصن لاردة^(٦).

٦- مدينة قرين ، ذكرها ابن غالب (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، وقال: هي من مدن لاردة وتقع على نهر نقيرة Rio Niguera^(٧).

٧- قلزنج: وهو حصن من حوز لاردة^(٨).

٨- قلعة الحمير: ذكرها ابن الكردبوس (ت ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م) أنها

(١) المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٣٨٧، ٤٢٩.

(٢) فرحة الأنفس، ص ١٧.

(٣) أخبار وتراجم أندلسية، ص ١١٠.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٨٤.

(٥) ابن الأثير، التكملة، ٨٩/٤.

(٦) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

(٧) فرحة الأنفس، ص ١٧.

(٨) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٤٠.

من نظر لاردة^(١).

٩- لبات: إحدى قرى مدينة لاردة^(٢).

١٠- لقرشان قال ياقوت هو حصن من أعمال لاردة^(٣).

١١- لقنت Alicante: قال ياقوت: (بفتح أوله وثانيه ، وسكون النون ، وتاء مثناة: حصنان من أعمال لاردة بالأندلس لقنت الكبرى ولقنت الصغرى وكل واحدة تنظر إلى صاحبتهما)^(٤).

(١) تاريخ الأندلس، ص ١٢٣.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ١٦٨/٤ ؛

(٣) معجم البلدان، ٢٠٧/٥.

(٤) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٤٩ ؛ هناك أكثر من مكان في الأندلس بهذا الاسم، فجعلها الإدريسي من كورة تدمير شرق الأندلس قال (ولقنت مدينة صغيرة عامرة وبها سوق ومسجد جامع ومنبر ويتجهز منها بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر وبها فواكه ويقل كثير وأعناب ولها قسبة منيعة عالية جدا في أعالي جبل يصعد إليه بمشقة وتعب وهي أيضاً مع صغرها تنشأ بها المراكب السفريّة والحراريق وبالقرب من هذه المدينة وبالغرب منها جزيرة تسمى أبلناصة وهي على ميل من البر وهي مرسى حسن وهي مكن لمراكب العدو) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢، ٥٥٨ ؛ ينظر أيضاً: الإصطخري، المسالك والممالك، ص ٣٥ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٣٨ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٥، ١٠ ؛ الزهري، الجغرافية، ص ١٠٤ ؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٣٠ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١ ؛ حتاملة، إيبريا، ص ٦١ ؛ وهناك من ذهب إلى إن لقنت تقع في غرب الأندلس من عمل ماردة، ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/ ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٤١، و(الحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٥ - ٩١٢م) ص ١٠٠، ٢٠١ ؛ ابن عداري، البيان المغرب، ٥٢/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية) ص ١٠٦ وأسماءها مدينة القنت.

١٢- مقتصرة Monmagastre: ذكر العذري أنه من حصون لاردة^(١).

١٣- منت شون Monzon: قال ياقوت: (الشين معجمة ، وآخره نون: حصن من حصون لاردة بالأندلس قديم ، بينه وبين لاردة عشرة فراسخ ، وهو حصين جدا ، تملكه الأفرنج سنة ٤٨٢هـ)^(٢).

ومن الناحية الاقتصادية ، فهناك العديد من النصوص أشارت إلى نشاط أهلها الاقتصادي ، منها كما مر بنا ، أن نهرها تلتقط منه برادة الذهب الخالص^(٣) ، وهذا يعني أنه يوفر لأهلها مورداً مهماً ، كما مارس أهلها الزراعة ، فقد وصفت المدينة بأن أرضها خصيبة ، ولها بساتين كثيرة وفواكه غزيرة ، وهي مخصصة بكثرة الكتان وطيبه ومنها يتجهز بالكتان إلى جميع نواحي الثغر^(٤) ، ووصف

(١) ترصيع الأخبار، ص ٤٠.

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٧٦؛ وجاء ذكره في المصادر الأندلسية بأنه من حصون منطقة الثغر الأعلى، ذكره العذري ضمن أحداث ثورة بني قسي في منطقة الثغر في القرن الثالث الهجري، ترصيع الأخبار، ص ٣٢- ٣٤، ٢٨، ٣٩، ٤٢؛ وكتبه ابن حيان: منتشون، المقتبس، (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٥- ٩١٢م) ص ١٤١، و(والحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م) ص ١٦٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٢٢١؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ق ٢، ص ١٧٠ وفيه منشون.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

(٤) المصدر نفسه.

الحميري (ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م) فحصها المسمى بالمشيكان بالقول:
(فحص مشكيجان كثير الضياع والمزارع والمراعي)^(١) ، والفحص في
لغة أهل الأندلس يعني الأرض الزراعية ، قال ياقوت: (وسألت
بعض أهل الأندلس: ما تعنون به؟ فقال كل موضع يسكن سهلاً
كان أو جبلاً بشرط أن يُزرع نسميه فحصاً)^(٢) ، كما يزرع الزيتون
في مدينة أفرغة^(٣) ، وقال الحميري: إن فيها بساتين كثيرة لا نظير
لها^(٤) ، كما اشتهرت مدينة لاردة والمنطقة المحيطة بها بالثروة
الحيوانية ، وقد ساعدت المراعي الخصبة عند مدينة لاردة والقرى
التابعة لها على الاهتمام بهذه الحرفة^(٥).

وفي إشارة إلى نشاطها التجاري وصفها مؤلف مجهول بالقول:
(هي ذوات نعم كثيرة ، عامرة يؤمها تجار بلاد الروم والمغرب ومصر ،
بها تجارات كثيرة ، ذات هواء معتدل)^(٦) ، ولعل في مقدمة البضائع
التي تدخل في التجارة هي الكتان الذي كان يُجهز منها ، فضلاً
عن خامات الذهب ، وفي إشارة أيضاً إلى نشاطها الاقتصادي ، قال

(١) الروض المعطار، ص ٥٠٧.

(٢) الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨.

(٣) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٣٧.

(٤) الروض المعطار، ص ٤٨.

(٥) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٣٤ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٠٧.

(٦) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص ١٨٢.

عنها الإدريسي: إنها مدينة متوسطة القدر كثيرة المنافع^(١) ، وفي مكان آخر قال: إنها مدينة متحضرة^(٢) ، كما ذكر الإدريسي أن أفرغة حصن ممدن له أسواق وصناعات^(٣) ، إلا أنه لم يشير إلى نوع صناعاتها ، ولعل موقع مدينة لاردة وتوابعها على نهر شيقر الذي ينحدر فيصب في نهر إبرة الذي يصل المدينة بالبحر المتوسط ساعد على نشاط الحركة التجارية فيها ، وهذا النهر صالح للملاحة حيث سلكه الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي في حدود سنة ٥٦١هـ ١١٦٥م^(٤).

التاريخ السياسي لمدينة لاردة:

بدأ الفتح المنظم للأندلس بعبور طارق بن زياد في رجب من سنة ٩٢هـ / ٧١٠م ، وبعد شهرين التقى طارق بلذريق في معركة وادي لكة Rio Guadalete قرب شذونة Sodonia^(٥) وذلك في رمضان من السنة نفسها ، وقد فتحت هذه المعركة الطريق أمام طارق

(١) نزهة المشتاق، ٢ / ٧٣٣.

(٢) المصدر نفسه ، ٢ / ٥٥٤.

(٣) المصدر نفسه ، ٢ / ٧٣٣.

(٤) رحلة بنيامين، ص ١٧٩.

(٥) قال الحميري: (هي كورة متصلة بكورة مورور، وعمل شذونة خمسون ميلاً في مثلها، وهي من الكور المجندة، نزلها جند فلسطين من العرب، الروض المعطار، ص ٣٣٩).

للانسياح سريعا باتجاه طليطلة Toledo^(١) بعد أن فتح عدد من المدن في طريقه ، ففتحها دون مقاومة وقد فر المدافعون عنها ، فمضى يطارد الفارين فسلك إلى وادي الحجارا uadalagara^(٢) ثم اخترق الجبل الحاجز من فج هناك سمي باسمه ودخل مدينة المائدة^(٣) ، عندئذ كان الصيف قد انقضى وأقبل البرد فأثر طارق أن يقضي

-
- (١) قال ابن غالب: هي قاعدة ملوك القوط، مطاة على نهر تاجة، وهي من أجل المدن قدرا وأعظمها خطرا وأشدّها حصانة، فرحة الأنفس، ص ١٩.
- (٢) قال ياقوت: مدينة بالأندلس تقع بين الجوف والشرق من قرطبة، الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٢.
- (٣) تقع في أحواز طليطلة وسميت بذلك لأنها وجدت فيها المائدة المنسوبة إلى النبي سليمان بن داود(ع) وكان طارق قد فتحها سنة ٩٣هـ / ٧١١م. الحميري، صفة، ص ١٧٩ ؛ ينظر قصة المائدة: ابن حبيب، كتاب التاريخ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ؛ ابن قتيبة (منسوب)، الإمامة والسياسة، ٢/ ٨٨ - ٨٩ ؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢ ؛ وقال الحميري عن رواة أهل البلاد: إنها لم تكن لسليمان عليه السلام، وإنما أصلها أن العجم في أيام ملكهم كان أهل الحسبة في دينهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنايس، فإذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه آلات من الموائد والكراسي وغيرها، من الذهب والفضة، يحمل الشامسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك، ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزيتها، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صنع في هذه السبيل. صفة، ص ١٣١ - ١٣٢ ؛ ويبدو أن قصة المائدة هذه ماهي إلا محض أسطورة وأن ما عثر عليه لا يعدو أن يكون منديحا لكنيسة طليطلة. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٣.

الشتاء في طليطلة وكان ذلك سنة ٧٩٣هـ/٧١١م ، ولعله كان ينتظر قدوم موسى بن نصير الذي عبر فعلا إلى الأندلس في رمضان من سنة ٧٩٣هـ /٧١١م ، فكان لقاءه مع طارق في طليطلة في ذي القعدة من سنة ٧٩٤هـ/٧١٢م ، وأقام القائدان فيها طوال شتاء ذلك العام^(١) ، ربما لإراحة الجيش والتدارس لفتح ما تبقى من شبه الجزيرة الأيبيرية فضلا عن انتظار انقضاء الشتاء.

وما أن انقضى فصل الشتاء حتى زحف القائدان شمالا نحو منطقة الثغر الأعلى ، وقد انقسما قسمين ، فسار طارق نحو الشمال الغربي ليفتح جليقية وسار موسى نحو الشمال الشرقي باتجاه سرقسطة ، وأشارت المصادر إلى أن فتح سرقسطة وما والاها من المدن كان من قبل موسى ، فصاحب كتاب الإمامة والسياسة (ت القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) أشار إلى أن (موسى) خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعا ، حتى دانت له الأندلس ، وجاءه وجوه جليقية ، فطلبوا الصلح فصالحهم ، وغزا البشكنس^(٢) فدخل في بلادهم حتى أتى قوما كالبهائم ، ثم مال إلى

(١) ينظر التفاصيل عن عمليات طارق وموسى حتى طليطلة: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٦- ٢٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣- ٣٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٤- ١٦؛ المقرئ، نفع الطيب، ١/ ٢٥٤- ٢٧١؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص٧٤- ٨٥؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٦٦- ١٠٠؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ٣٨- ٥٢.

(٢) وردت كلمة البشكنس Basc0ns في المصادر التاريخية بأسماء متعددة فجاءت بلفظة البسكنس والبشكنس والبشكنش وبشكونس والبشاكسة، وفي المراجع الحديثة أطلق عليهم اسم الباسك للتنبؤ به إلى خليج بسكاي=

أفرنجة ، حتى انتهى إلى سرقسطة فافتتحها ، وافتتح ما دونها من البلاد إلى الأندلس^(١) ، وذكر مؤلف مجهول (ت القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي) أن موسى (سار فافتتح سرقسطة ومدائنها)^(٢) ، وقال ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) إن موسى (سار إلى سرقسطة ومدائنها فافتتحها وأوغل في بلاد الفرنج)^(٣) ، أما ابن عذاري (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م) فقال: إن موسى (تقدم من طليطلة إلى سرقسطة ، فافتتحها ، وافتتح ما حولها من الحصون والمعقل ، وذكروا أن موسى خرج من طليطلة غازيا ، بفتح المدائن ، حتى دانت له الأندلس ، وجاءه أهل جليقية يطلبون الصلح ، فصالحهم ، وفتح بلاد البشكنش ، وأوغل في بلادهم حتى أتى قوما كالبهائم ، وغزا بلاد الإفرنج ، ثم مال حتى انتهى إلى سرقسطة)^(٤) ، وقال

=المحاذي لمناطقهم، والبشكنس هم سكان نافارو وهو إقليم يمتد عبر جبال البرت الغربية على الحدود ما بين فرنسا وأسبانيا: ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص ١٩٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٩؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٢؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٦٩-٨٤٦م)، ص ٣٠٦، ٣٠٧؛ البكري، جغرافية، ص ٧٩، ٨٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٧١؛ ابن القاسم، مخطوط تاريخ الأندلس ص ٢٤؛ ارسلان، الحل السندسية، ١/٣٢١؛ لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص ١٩٦؛ العلياوي، البشكنس، ص ١١.

(١) ابن قتيبة (منسوب)، الإمامة والسياسة، ٢/٢٤١.

(٢) أخبار مجموعة، ص ١٨.

(٣) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٤٨.

(٤) البيان المغرب، ٢/١٦.

المقري(ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م): إن موسى ارتقى إلى الثغر الأعلى ،
وافتح سرقسطة وأعمالها ، وأوغل في البلاد^(١) ، ثم أضاف قائلاً
نقلاً عن ابن حيان: (...ولمّا أوغل المسلمون إلى أربونة^(٢) ارتاع لهم
قارله ملك الإفرنجة بالأرض الكبيرة ، وانزعج لانبساطهم ، فحشد
لهم ، وخرج عليهم في جمع عظيم ، فلما انتهى إلى حصن لوزون
وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه ، وأقبل حتى انتهى
إلى صخرة لوزون ، فلم يجد بها أحداً ، وقد عسكر المسلمون قدّامه
فيما بين الأجل المجاورة لمدينة أربونة ، وهم بحال غرّة لا عيون لهم
ولا طلائع ، فما شعروا حتى أحاط بهم عدوّ الله قارله^(٣) ، فاقتطعهم
عن اللجأ إلى مدينة أربونة ، وواضعهم الحرب ، فقاتلوا قتالاً شديداً
استشهد فيه جماعة منهم ، وحمل جمهورهم على صفوفه حتى
اخرقوها ، ودخلوا المدينة ولادوا بحصانتها ، فنازلهم بها أياماً أصيب
له فيها رجال ، وتعذّر عليه المقام ، وخامرّه زعر وخوف مدد
للمسلمين ، فزال عنهم راحلاً إلى بلده ، وقد نصب في وجوه

(١) نضح الطيب، ١/٢٧٣.

(٢) وهي آخر ما افتتح المسلمون من بلاد الأندلس في الطرف الأعلى المحاذي
لببلاد الفرنجة وقد خرجت من أيدي المسلمين سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨م. ياقوت،
الأندلس من معجم البلدان، ص٢٤؛ الحميري، صفة، ص١١ - ١٢.

(٣) قارلة، هو شارل مارتل، والد بين القصير وجد شارلمان . حكم الدولة
الميروفنجية، واتخذ لقب المطرقة لشدته، واستطاع أن يوحد النصراني تحت
حكمه، وأوقف تقدم المسلمين في بلاد الغال، ينظر: عاشور، تاريخ أوروبا في
العصور الوسطى، ٢/١٩٣ - ١٩٦.

المسلمين حصوناً على وادي رودنة شكّها بالرجال فصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين ، وذلك بالأرض الكبيرة خلف الأندلس ، وقال الحجاري في المسهب: إن موسى بن نصير نصره الله نصرأ ما عليه مزيد ، وأجفلت ملوك النصارى بين يديهن حتى خرج على باب الأندلس الذي في الجبل الحاجز بينها وبين الأرض الكبيرة...^(١) وعلى الرغم من الاختلاف حول من فتح أربونة Narbonne^(٢) ، إلا أنه من الروايات أعلاه يمكن القول أن موسى هو من تولى فتح المناطق الشمالية الشرقية من الأندلس ، فبعد أن فتح سرقسطة اتجه نحو لاردة ثم طركونة وأوغل في قطلونيةCataluna ، وربما وصل إلى جبال البرت irineos ثم عاد إلى سرقسطة ، وكان ذلك سنة ٧١٣/٥٩٤م.

أما من استقر من المسلمين في لاردة ومنطقتها ، فيمكن القول أن الاستقرار هناك صاحب عمليات الفتح ، فقد أشار المقرئ إلى ذلك بقوله: (وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية ، وسكنت العرب المفاوز ، وكان العرب والبربر كلماً مرّ قوم منهم بموضع استحسونه حطّوا به ونزلوه قاطنين ، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس ، وخذل

(١) نضح الطيب، ١/٢٧٣ - ٢٧٤.

(٢) استبعد السيد عبد العزيز سالم ن يكون موسى هو من فتح أربونة قائلاً: (أنه لا يعقل أن يقوم موسى بكل هذه الفتوحات في فترة قصيرة للغاية لا تتجاوز ثلاثة شهور، وعلى هذا فإننا نستنتج بأن ما ذكره ابن حيان بشأن اقتحام موسى لافرنجة واكتساحه أراضيها حتى ليون، فأمر لا يقبل حتى مجرد الاحتمال، وكل ما في الأمر - على ما نعتقد - أنه خلط بين أعمال موسى في فتح قطلونيا، ووصول عسكره إلى قرقشونة، وبين أعمال عنبسة بن سحيم الكلبي وعذرة بن عبد الله)، تاريخ المسلمين، ص ١٠٥.

الشرك^(١) ، وأضاف إلى أن موسى وطارق عندما قفلا راجعين (ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من أثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها)^(٢) ، وقال صاحب كتاب فتح الأندلس (آخر خبره: القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): إن موسى وطارق عندما قفلا إلى المشرق رجع معهما من أراد الرجوع من الناس وأقام بالأندلس كل من أراد سكنائها في مواضعهم التي كانوا اختطوها واستوطنوها^(٣) ، وهذا يعني أن عملية الاستيطان والاستقرار الأولى كانت متزامنة مع عمليات الفتح وأنها كانت اختيارية.

ولما كان معظم الجيش الذي مع موسى هو من العرب^(٤) ، لذا كان الاستيطان الأول للعرب هو مع خط سير موسى ، فكانت المناطق الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى المتمثلة بسرقسطة ولاردة ووشقة وتويلة Tudela استوطنها العديد من القبائل العربية منذ مرحلة الفتح ، وهناك العديد من النصوص التي تؤشر ذلك ، فقد أشار صاحب كتاب أخبار مجموعة إلى أن البربر عندما ثاروا أيام عبد الملك بن قطن^(٥) أخرجوا العرب من الثغور (إلا ما كان من

(١) نضح الطيب، ٢٧٦/١.

(٢) نضح الطيب، ٢٧٦/١.

(٣) مؤلف مجهول، ص ٣٣.

(٤) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص ٢٤.

(٥) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهري، أمير الأندلس،= وليها

عرب سرقسطة وثرغهم ، فإنهم كانوا أكثر من البربر ، فلم يهج عليهم البربر^(١) ، فنزل الأنصار في العديد من مناطق الثغر ، إذ ذكر العذري العديد منهم أثناء حديثه عن الثوار في سرقسطة^(٢) ووشقة^(٣) ، كما أشار ابن الأبار إلى العديد منهم ممن نزل لاردة^(٤) ، والأنصار تسمية أطلقت على قبيلتي الأوس والخزرج ممن سكن المدينة المنورة وناصروا النبي (ﷺ) ، وقد وردت هذه التسمية في العديد من الآيات القرآنية^(٥) ، ولعب الأنصار في منطقة الثغر الأعلى دورا كبيرا في أحداثها - كما سنرى - في ثورتهم أيام عبد الرحمن الداخل.

كما سكنت قبيلة تميم المنطقة ، وتجب هم بنو السكون بن أشرس بن كندة نسبوا إلى أمهم تجيب بنت ثوبان بن سليم^(٦) ، نزل

= للمدة من سنة ١١٤ - ١١٦ هـ / ٧٣٢ - ٧٣٤ م بعد عبد الرحمن الغافقي من قبل عبيدة بن عبد الرحمن القيسي الأمير بإفريقية أما ولايته الثانية فكانت سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م، وقتل بالأندلس في السنة نفسها. الحميدي، جندوة المقتبس، ص ٢٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٨.

(١) مؤلف مجهول، ص ٤٢.

(٢) ترصيع الأخبار، ص ٢٥ - ٢٧، ٤١ - ٥٤.

(٣) ترصيع الأخبار، ص ٥٦ - ٦١.

(٤) ينظر: التكملة، ١/٥٩، ٢/٢٥، ٣/٥٢، ٣/١٣، ٤/٢٢، ٨٩؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٨٨.

(٥) وردت كلمة الأنصار في القرآن الكريم مرتين ويقصد بهم أنصار الرسول (ﷺ) من قبيلتي الأوس والخزرج، ينظر: عبد الباقي، المعجم المفهرس للقرآن الكريم، ص ٧٠٣.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩.

العديد منهم في منطقة الثغر الأعلى^(١) ، واستوطن قسم منهم في لاردة ومدنها^(٢) ، وكان لتجيب دور بارز في أحداث لاردة ومنطقة الثغر الأعلى استمر -كما سنرى- حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

ومن القبائل العربية التي سكنت المنطقة أيضا جذام^(٣) ، فسكن العديد منهم الأندلس ومنطقة الثغر خاصة وكانت لهم كما قال ابن حزم (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م): (رياسة وتفرّع ، وولاتهم معروفة)^(٤) ، ومنهم بنو هود الذين كانوا من أشهر حكام سرقسطة ولاردة^(٥) كما سنرى. سنرى.

ومن بطون قريش الذين سكنوا لاردة وبعض مناطق الثغر ، بنو عبد الدار بن قصي بن كلاب^(٦) ، ولعب بعضهم دورا في أحداث

(١) ينظر عن دار تجيب بالأندلس، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٩.

(٢) ينظر: ابن الأبار، التكملة، ٣٤٣/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٤/٢.

(٣) جذام نسبة إلى جذام بن عدي بن الحارث بن مرة ابن أدد بن زيد بن يشجب، ينظر، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٠.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١.

(٥) ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٤١ - ٥٦؛ ابن الأبار، التكملة، ٣٤٩/١؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٦.

(٦) وهم بنو عبد الدار بن قصي بن كلاب، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٢٦؛ ابن الأبار، التكملة، ٢١٣/٤، ٢٦٥.

المنطقة منهم عامر العبدري^(١) الذي ثار في سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م في منطقة الثغر الأعلى^(٢).

فضلا عن ذلك فإن هناك العديد من القبائل العربية التي سكنت منطقة الشمال الشرقي من الثغر الأعلى ، مثل غافق^(٣) وبجيلة^(٤) وهذيل^(٥) ، ولعل انتشارهم هناك كان على شكل مجموعات قليلة جعلت المصادر لا تشير إلى الأماكن التي سكنوها فكان نشاطهم ضمن المجموعات العربية الكبيرة التي لعبت دورا مؤثرا هناك.

(١) ذكر مؤلف مجهول أن عامر العبدري _ من بني عبد الدار - راسل الخليفة العباسي المنصور للقيام بالدعوة العباسية في الأندلس وتبعه العديد من أهل اليمن فلما أحس به يوسف الفهري وأراد القبض عليه هرب إلى سرقسطة = وأعانه هناك رجلاً من بني زهرة بن كلاب وكان بها الصميل بن حاتم فحاصراه فاستمد الصميل يوسف فلم يمده لأنه كان يتمنى هلاكه ، فاستعان بقومه من مضرو وتمكن من الانسحاب عن سرقسطة إلى طليطلة فدخلها عامر العبدري وحليفة الزهري. أخبار مجموعة، ص ٦٣ - ٦٥ .

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٣ - ٦٥ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣) ينظر عن مساكن غافق في الثغر الأعلى: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٩٣ .

(٤) ينظر عن مساكن بجيلة في الثغر الأعلى: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٠ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٢ .

(٥) ينظر عن مساكن هذيل في الثغر الأعلى: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢١٠ .

كما استوطن العديد من القبائل البربرية في المنطقة ، وحدد اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ/٩٩٤م) أماكن انتشارهم في الشمال الشرقي من الثغر الأعلى قائلا: (ومن سرقسطة إلى القبلة مدينة يقال لها طرطوشة ، وهي آخر ثغر الأندلس في الشرق ، محادة للإفرنجيين ، وهي على هذا النهر المنحدر من سرقسطة ، ومن طرطوشة لمن أخذ مغربا إلى بلد يقال له بلنسية^(١) ، وهو بلد واسع جليل نزله قبائل البربر ولم يعطوا بني أمية الطاعة ، ولهم نهر عظيم ببلد يقال له الشقر)^(٢) ، وقد أشار ابن حزم إلى بعضهم ممن سكن المنطقة منهم بنو الخروبي من زناتة ، وبنو هذيل من مديولة ، وبنو الهاصة من نفزة^(٣) ، كما انتشر أفراد من زناتة في منطقة سرقسطة وإلى الشمال منها في نواحي لاردة^(٤) ، كذلك مجموعات من قبيلة مدغرة البربرية عند مصب نهر إيره^(٥) ، وعليه فإن منازل البربر هناك عبارة عن خط يبدأ بنواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم ينحدر إلى مدينة سالم Medinaceli قاعدة الثغر الأوسط^(٦).

(١) قال ابن غالب: هي كورة شرق تدمير وشرق قرطبة على شاطئ البحر، فرحة الأنفس، ص ١٦.

(٢) التبلدان، ص ١٩٥.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٩.

(٤) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٢ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٢٣.

(٥) ابن الأثير، التكملة، ٣/١٣٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٢.

(٦) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٤٢٥.

كما كان للمولدين حضور مهم في منطقة الثغر الأعلى الشرقي ، وهي تسمية أطلقت على أولاد وأعقاب من أسلم من السكان الأصليين^(١) ، ومن أشهرهم الذين لعبوا دوراً في تاريخ المنطقة وتولوا الزعامة فيها -كما سيأتي- (بنو قسى Banu Caci بتطيلة ، ووناط ، وأرنيط Ornedo ، وبنو عمروس بوشقة ، وبنو شبرات ، وبنو الطويل ، بوشقة وبريشتر Barbastro^(٢) .

خضعت المنطقة الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى الأندلسي لحكم العرب المسلمين أكثر من أربعة قرون كانت معظمها حافلة بالأحداث ، ولعل ذلك يعود لأسباب عدة منها:

- ١- قربها من أراضي الفرنجة جعلها محط أنظارهم ، لأن وجود العرب المسلمين على حدودهم الجنوبية شكل مصدر قلق كبير لهم ، لذلك استمروا في التعرض لها والتدخل في شؤونها ونجحوا في انتزاع العديد من الأراضي لدفع المسلمين جنوباً.
- ٢- نشوء الممالك الاسبانية في جليقية وأشتورين Asturias وجبال كنتبرية Cantabria جعل المنطقة ثغرية وفي حالة حرب دائمة بسبب العداء التقليدي بين الدولة الإسلامية والدول النصرانية.
- ٣- الطبيعة الجغرافية للمنطقة ، فهي منطقة جبلية وعرة تخترقها

(١) المصدر نفسه، ص ٤٦٠ .

(٢) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ ؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٧ - ٤٠ ، ٦٢ - ٧٣ .

الأودية النهرية العميقة المكتظة بالنباتات الطبيعية.

٤- كثرة القلاع والحصون الطبيعية التي توفر الحماية لمن يريد الاعتصام بها.

٥- التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة ، فهم خليط من العرب والبربر والمولدين والنصارى واليهود ، وهذا الخليط غير المتجانس في الطموح والأهداف والتوجهات أدى إلى قيام الكثير من الثورات المتأرجحة في ولاءاتها بين المسلمين والنصارى.

إن أول خلل أصاب منطقة الثغر الأعلى كان بعد قيام ثورة البربر في المغرب سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م ، إذ على أثرها ثار بربر الأندلس وأخرجوا من كان من العرب في الثغر- إلا ما كان منهم في سرقسطة ومدائنها - واتجهوا جنوبا والتقوا بوالي الأندلس عبد الملك بن قطن ومعه عرب الشام بقيادة بلج بن بشر القشيري^(١) في أحواز طليطلة وانهزم البربر وقتل أعداد كبيرة منهم ، ثم تنازع عبد الملك وبلج الإمارة فقتل بلج عبد الملك واستولى على قرطبة ، فغضب ابنا عبد الملك أمية وقطن فسارا إلى الثغر وانضم إليهما عامل أربونة وقائد الثغر عبد الرحمن بن علقمة اللخمي^(٢) فساروا

(١) بلج بن بشر القشيري ابن عمّ كلثوم بن عياض القشيري. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٧٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١/٥٤.
(٢) هو عبد الرحمن بن علقمة اللخمي فارس الأندلس ووالي ثغر أربونة وكان ذا بأس شديد ووجهة عظيمة ثار على يوسف الفهري سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م

جميعاً بجيش الثغر يريدون بلجاً وذلك سنة ١٢٤هـ/٧٤١م فانهزم البربر وقائد الثغر وقتل بلجاً^(١) ، والذي يهمننا هنا أن منطقة الثغر الأعلى الشرقي ضعفت من الناحية العسكرية بسبب تورط قاداته بالصراع على السلطة في قرطبة ، فضلاً عن ذلك فإن سياسة يوسف الفهري^(٢) لم تكن حكيمة تجاه الثغر الأعلى ، فكما مر بنا أن أغلب العرب القاطنين هناك هم من القبائل اليمانية ، فأرسل يوسف الصميل بن حاتم^(٣) الزعيم القيسي المتعصب فأراد أن يذلهم به ،

فاغتاله أصحابه وأقبلوا برأسه إليه، ابن عذارى، البيان المغرب، ٣٨/٢ ؛
المقري، نضح الطيب، ٢٦/٣ .

(١) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤١ - ٤٢ ؛ مؤلف مجهول،
أخبار مجموعة، ص ٤٦ - ٤٧؛ المقري، نضح الطيب، ٢١/٣ - ٢٢ .

(٢) هو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري، ولي الأندلس سنة
١٢٩هـ/٧٤٦م حتى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ٣٨٣٥/٢ .

(٣) هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضبابي كان جده
شمر ممن اشترك في قتل الحسين بن علي (ع) فقتله المختار وفرّ ولده إلى الشام،
ثم خرج مع كلثوم بن عياض القشيري في جند الشام إلى المغرب فخرج
الصميل معه، وبعد مقتل كلثوم دخل الصميل مع بلج بن بشر القشيري إلى
الأندلس، وعلى الرغم من كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب إلا أنه كان شجاعاً
ودراية في التدبير والحروب، وكان زعيم المضربة في الأندلس في أيامه، وبعد
هزيمته لليمانية غلب على يوسف الفهري إلى أن تغلب عبد الرحمن الداخل
على الأندلس فسجنه وتوفي في السجن سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م. ينظر ترجمته: مؤلف
مجهول، أخبار مجموعة، ص ٥٧ ؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، ٦٧/١ - ٦٨ ؛ ابن
الخطيب، الإحاطة، ٣٤٥/٣ - ٣٤٨ ؛ المقري، نضح الطيب، ٥٣/٣ .

وقد عبر صاحب كتاب أخبار مجموعة عن ذلك بقوله: (وكان الثغر لليمن فأراد أن يذلهم)^(١) وهو ما أشعل نار الحرب الأهلية بالأندلس^(٢).

ونتيجة لذلك شهدت المناطق الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى عدة ثورات على يوسف بن عبد الرحمن الفهري منها ثورة عبد الرحمن بن علقمة اللخمي^(٣) والحباب بن رواحة الزهري^(٤) وطردا الصميل بن حاتم من سرقسطة، واستمرت ثورتها حتى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م عندما خرج يوسف الفهري بنفسه إليهما فقتلها^(٥).
لم توضح المصادر التي بين أيدينا أسماء ولاية وأمراء لاردة بعد الفتح، ولكن ابن حزم رسم خارطة أمراء الثغر الأعلى (سرقسطة ومدائنها) قد تبدد بعض الغموض بما يخص لاردة وتوابعها^(٦).

(١) مؤلف مجهول، ص ٦٢.

(٢) ينظر التفاصيل عن الحرب بين القيسية واليمانية في الأندلس، مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٧٧ - ٢٩٩؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٩١ - ٢٠٠.

(٣) عبد الرحمن بن علقمة اللخمي عامل أريونة لعبد الملك بن قطن قتل أثناء الحرب الأهلية مع بلج القشيري سنة ١٢٤هـ/٧٤١م، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤١ - ٤٢؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٦ - ٤٧.

(٤) هو الحباب بن رواحة بن عبد الله الزهري القرشي ثار على يوسف الفهري في سرقسطة سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٧٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤١/٢.

(٥) ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٧٩ - ٨٠، ٨٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٨/٢.

(٦) لأن ولاية سرقسطة هي ولاية كانتبريا القديمة، وتمتد من منابع نهر التاجة شرقا، على ضفتي نهر إبرو حتى جبال البرنيه وبلاد البشكنس،

ذكر ابن حزم أن أمراء الثغر (سرقسطة وتوابعها) توزعت بين فئتين هما المولدين والعرب ، قال: (وكان الأمراء بها من المولدين أيضاً: بنو قسي بتطيلة ، ووناط ، وأرنيط ، وبنو عمروس بوشقة. وبنو شبراط ، وهم بنو الطويل ، بوشقة وبرشتر. وكان الأمراء بالثغر من العرب: بنو المهاجر من تيجب خاصة. أصلهم دروقة وقلعة أيوب ؛ ثم ملكوا سرقسطة وغيرها)^(١).

فأما بنو قسي فذكر ابن حزم أن قسي كان قومس^(٢) الثغر أيام القوط فلما افتتح المسلمون الأندلس سافر ابنه فرتون إلى الشام وأسلم على يد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) فكان ولاءه إلى بني أمية والمضرية في الأندلس ، وكان له من الأولاد فرتون ، وأبو ثور ، وأبو سلامة ، ويونس ، ويحيى^(٣) ، والراجح أن فرتون بعد إسلامه أقره الخليفة الوليد على بعض مناطق الثغر منها إقليم شبة^(٤) أحد توابع مدينة لاردة^(٥) ، كما أن نفوذهم أخذ بالتوسع في المنطقة حتى

وأشهر قواعدها سرقسطة، وطركونة، وجيرندة، وبرشلونة، وأرقله، ولاردة، وطرطوشة، ووشقة. ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ١٣٢ - ١٣٣.

(١) جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩ - ٥٠٠.

(٢) القومس هو مسؤول النصراني في المنطقة، وهي وظيفة قديمة كانت أيام القوط وقد أبقاها المسلمون عندما أصبح لهم نفوذ كبير في الأندلس، ينظر: مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٩٤ - ٤٩٥.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢.

(٤) سالم، تاريخ المسلمين، ص١٠٢ - ١٠٣؛ العليايوي، البشكنس، ص٤٣.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٨٩/٤.

غداوا من أشهر أمراء الثغر الأعلى كما سنرى.

أما بنو عمروس فهم نسبة إلى عمروس بن يوسف أصله من وشقة من المولدين وكان في خدمة مطروح وعيشون ابنا سليمان بن يقظان الأعرابي الكلبى ، ولما ثار مطروح على الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) في سرقسطة وملكها وذلك سنة ١٧٥هـ/٧٩١م ولم تتمكن جيوش الأمير منه ، فخرج يوماً متصيذا ولم يكن معه غير عمروس وشرحبيل بن صلتان الزواغى فاعتوراه بسيوفهما وقتلاه^(١) ثم التحق عمروس بالأمير الحكم (١٨٠-٢٠٦هـ / ٧٩٦-٧٩٦-٧٩٦م) فولاه سرقسطة ومدائنها ، وقاتل بنى قسى الذين تحالفوا مع نصارى بنبلونة Pamplona وهزمهم وظل في طاعة الأمير حتى وفاته سنة ١٩٨هـ/٨١٣م^(٢).

ومن الأمراء المولدين في الثغر بنو شبراط (شبريط) ، نسبة إلى شبريط من مولدى وشقة وهو ابن عم عمروس بن يوسف^(٣) ، وكان

(١) ذكر العذري في كتابه ترصيع الأخبار ثلاث روايات تكاد تكون متعارضة عن مقتل مطروح بن سليمان الأعرابي، فنذكر في ص ٢٦ أن عمروس بن يوسف وشرحبيل بن صلتان الزواغى قتل مطروح بن سليمان وهو يتصيد، وفي ص ٢٧ أن عمروس وخلفا جدا بنى الطويل قتل مطروح الأعرابي وكانا وصيفين له، ثم عاد في ص ٢٩ فنذكر أن عمروس وشبريط قتل مطروح وهو يتصيد.

(٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٧٩٦/٥٢٣٢ - ٨٤٦م)، ص ١١٨ - ١١٩ ؛ العذري، ترصيع الأخبار، ص ٢٦ - ٢٨ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤١/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٣/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٢/٤ .

(٣) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٧٩٦/٥٢٣٢ - ٨٤٦م)، ص ١٢٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٢/١ .

مع عمروس في خدمة عيشون الأعرابي ، وفي إحدى روايات العذري أنه اشترك مع عمروس في قتل مطروح الأعرابي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م^(١) ، وأنه كان يعرف بالطويل وكان لهم دور في منطقة الثغر حيث تغلبوا على معظم مدنه وبالأخص لاردة وشقة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي^(٢).

وأما أمراء الثغر من العرب ، فهم بنو سلمة التجيبون الذين دخلوا مع موسى بن نصير^(٣) ، فهم أول من ملك الثغر الأعلى من العرب ، وكانت قاعتهم وشقة ، وحسب رواية العذري فإن قلعة المدينة حاصرها المسلمون لمدة سبع سنوات فلما فتحت أسلم منهم من أسلم وفرضت الجزية على من بقي على دينه وتولى بنو سلمة أمر المدينة (في حدود سنة ١٠٠هـ/٧١٨م)^(٤) واتسع نفوذهم فشمّل مناطق واسعة من الثغر منها وشقة وبريطانية Bretagne^(٥) وبريستر (وهي من لاردة) ، إلا أنهم لم يحسنوا السياسة فظلّوا فضج الناس منهم وقد طالت أيامهم حتى ثار

(١) ترصيع الأخبار، ص ٢٩.

(٢) ينظر: العذري، ترصيع الأخبار، ص ٦٤ - ٧٣.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠.

(٤) ذلك أن موسى بن نصير دخل المناطق الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى

سنة ٩٤هـ/٧١٢م وطال حصار المدينة سبع سنين حسب رواية العذري أعلاه،

فهذا يعني أن بني سلمة تولوا أمر مدينة وشقة حوالي سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م.

(٥) بريطانية قال ياقوت: هي مدينة كبيرة بالأندلس يتصل عملها بعمل لاردة

وكانت سدا بين المسلمين والروم، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٩.

عليهم بهلول بن مرزوق سنة ١٨١هـ/٧٩٧م وانتزع الملك منهم^(١) ، ولم يعاودوا الظهور على مسرح الأحداث إلا في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

أما أهم الأحداث السياسية والثورات وحركات التمرد التي قامت في المنطقة وشهدت مدينة لاردة وتوابعها جانبا منها فسنعمل على تتبعها حسب تسلسلها الزمني ، ففي عهد عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) امتدت آثار الفتنة بين القيسية واليمانية إلى منطقة الثغر الأعلى - وكما مررنا فإن غالبية عربها من اليمانية- وكان عبد الرحمن يشك في ولاءهم ، ففي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م أرسل عبد الرحمن مولاه بدر إلى الثغر واليا وأمره بامتحان المتنفذين هناك ، قال ابن عذاري في هذه السنة: (غزا بدر إلى الثغر ، وتقدم إلى ألبه ، فحاربها ، فأذعنت له ، وأدت إليه الجزية ، وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية ، واختبار بصائرهم ؛ فاستقدم منهم من اطلع له على سوء سريرة وشبهة في الثغر)^(٢).

ونتيجة لتلك السياسة ثار اليمانية في الثغر الأعلى بزعامه سليمان بن يقظان الكلبي الأعرابي والحسين بن يحيى الأنصاري سنة ١٥٧هـ/٧٧٣م مستغلين انشغال عبد الرحمن بالثورات التي قامت في الجنوب والغرب الأندلسي وأطولها كانت ثورة شقنا بن

(١) ترصيع الأخبار، ص ٥٧- ٦٠ ؛ ينظر أيضا: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/ ٧٩٦- ٨٤٦م)، ص ١٠٤؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٩/٢.

(٢) البيان المغرب، ٥٤/٢ ؛ ينظر أيضا: العذري، ترصيع الإخبار، ص ٢٥.

عبد الواحد المكناسي^(١) ، وكان سليمان الأعرابي في برشلونة^(٢) Barcelona والحسين الأنصاري في سرقسطة فتحالفا وهزما جيشا أرسله عبد الرحمن بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي ، ثم انضم إليهما أبو ثور بن فرتون بن قسي حاكم إقليم شية (من لاردة) ، وبذلك اتسع نطاق الثورة ليشمل معظم المناطق الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى ، ولما لم يطمئن الثوار إلى إمكانياتهم مقارنة بقوة عبد الرحمن وتصميمه لذا استعانوا بملك الفرنج شارلمان^(٣) وتحالفوا معه لقاء تسليمه بعض مناطق الثغور ومنها برشلونة ، فوافق على أن يكونوا أيضا تحت حمايته^(٤) ، فسلموه ثعلبة بن عبيد قائد عبد الرحمن الذي أسروه سابقا عنوانا للثقة بينهم ، وفي مطلع سنة

(١) أصله من بربر مكناسة وأمه تدعى فاطمة فادعى أنه الفاطمي ثار على عبد الرحمن الداخل سنة ١٥١هـ في الغرب الأندلسي واتبع أسلوب الكروايف والضر وكان يأوى إلى الجبال عندما تضيق عليه جيوش الإمارة واستمرت ثورته حتى سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م عندما دس إليه عبد الرحمن من اغتاله، ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٩٧- ٩٨ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٩٩- ١٠٥ ؛ الخفاجي، التشيع في الأندلس، ٢٣٥- ٢٣٩.

(٢) برشلونة، قال الحميري: على شاطئ البحر بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، الروض المعطار، ص ٨٦- ٨٧.

(٣) شارلمان بن بيبين القصير تولى عرش دولة الفرنجة للمدة من سنة ١٥٥- ١٩٩هـ/ ٧٧١- ٨١٤م، ينظر التفاصيل عنه: اينهارد، سيرة شارلمان، ص ٥٢- ١٥٣.

(٤) يذكر أن شارلمان كان يخفي غايتين من وراء تدخله في الأندلس، الأولى سياسي يرمي وضع حد للخطر الإسلامي في الجنوب وضم الأندلس أو نصفها على الأقل لسيطرته، والثاني ديني يقضي تحرير النصراني الأسبان من السيطرة الإسلامية لذلك أبلغ البابا بذلك الذي وعده بالصلاة له، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص ١٧٢- ١٧٣.

١٦٢هـ/٧٧٨م عبر شارلمان جبال البرنيه من اتجاهين الأول اخترق أراضي البشكنس وهاجم عاصمتهم بنبلونة واتجه نحو سرقسطة والثاني توجه نحو برشلونة وجيرنده Gerona ثم سرقسطة ، وعليه فإن لاردة ومدنها كانت تحت نفوذ المتحالفين ، ولكن الأمور تطورت على غير رغباتهم ، إذ رفض أحد أطراف التحالف الحسين بن يحيى الأنصاري فتح أبواب مدينة سرقسطة وتهيأ للمقاومة والدفاع ، وعلى الرغم من أن قوات شارلمان وحلفاءه حاصرت المدينة إلا أنهم عجزوا عن اختراقها ، وأمام هذا الموقف الحرج اضطر شارلمان إلى التراجع بعد أن قبض على سليمان الأعرابي إذ اتهمه بالتواطىء ضده ، وعند اختراقه الجبال هاجمه المسلمون بقيادة مطروح وعيشون ابنا سليمان الأعرابي وبمساعدة البشكنس ورجعا به إلى سرقسطة^(١).

لم يكن عبد الرحمن غافلاً عما يحدث في الشمال ، فقد كان يرقب الأحداث ، فما أن تفرغ من أعدائه في الجنوب حتى عمل على التفريق بين الشريكين الأعرابي والأنصاري ، فأرسل إلى الأخير أن يوليه سرقسطة على أن يتخلص من شريكه ، ففسد إليه من قتله ، وتفرد بالأمر ، وقد أغضب ذلك ابني سليمان الإعرابي

(١) ينظر التفاصيل عن هجوم شارلمان على سرقسطة ومناطق الثغر الأعلى: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ العذري، ترصيع الإخبار، ص ٢٥ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٣ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٨/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ١، ص ١٦٨ - ١٨٤ ؛ العلياوي، البشكنس، ص ٧٥ - ٨٢.

مطروح وعيشون وأخذوا يتربصان به ، ولكن الحسين الأنصاري لم يلبث أن خلع طاعة الأمير عبد الرحمن ، فسار الأمير إلى سرقسطة بجيش كبير وانضم إليه ابنا سليمان الأعرابي ثارا لأبيهما ، وحاصر المدينة فيما أرسل أولاده للقضاء على كل مخالف في المدائن القريبة من سرقسطة ثم يجتمعون حولها ، فلما اشتد الحصار طلب الأنصاري الصلح فأجابه الأمير عليها ، ولكن ما أن رجع الأخير إلى قرطبة Cordoba حتى عاد الأنصاري إلى الخلعان ، عندها قرر الأمير أن ينكل به وبأنصاره فأرسل جيشا بقيادة غالب بن تمام ثم التحق به الأمير نفسه وتمكن من اقتحام سرقسطة والقبض على الحسين الأنصاري وقتله والتنكيل بأنصاره وذلك سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م ، وبذلك هدأت الأمور في الشمال فيما يبدو لبعض الوقت^(١).

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن(١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) شهدت منطقة الثغر الأعلى(برشلونة وسرقسطة ولاردة ووشقة) ثورة الأبناء مطروح بن سليمان الأعرابي وسعيد بن الحسين الأنصاري ، انتقاما منهم لأبائهم ، وقد استغلوا انشغال الأمير هشام بثورة أخويه عبد الله وسليمان^(٢) ، ففي سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م ثار سعيد في

(١) ينظر عن ثورة الحسين الأنصاري: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٤ ؛ العذري، ترصيع الإخبار، ص ٢٥- ٢٦ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٠٨- ١١٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٦/٢- ٥٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ١، ص ١٨٥- ١٨٨ .

(٢) لما توفي عبد الرحمن كان ابنه الأكبر سليمان واليا على طليطلة وكان ابنه هشام على ما ردة وكان قد عهد له بالأمر وكان ابنه عبد الله حاضرا

طرطوشة Tortosa^(١) وبسط نفوذه إلى سرقسطة وما جاورها ، فيما ثار مطروح في برشلونة ، وكانت دعوة سعيد الأنصاري أثارت الفتنة بين اليمانية والقيسية فعارضه موسى بن فرتون بن قسي أحد موالي بني أمية في الثغر ، فكانت الحرب بين اليمانية والقيسية وانتهت

بقرطبة فأخذ البيعة لأخيه هشام وبعث إليه بالخبر فسار إلى قرطبة وقام بالدولة، وغص بذلك أخوه سليمان فأظهر الخلاف بطليطلة، ولحق به أخوه عبد الله وبعث هشام في أثره فلم يلحق، وسار هشام في العساكر فحاصره بطليطلة وخالفه سليمان إلى قرطبة فلم يظفر نشئ منها، وبعث هشام ابنه عبد الملك في أثره، فقصده ما ردة فحاربه عامله وهزمه الله بغير أمان ودخل في طاعته فأكرمه، ثم بعث في السنة التالية (أي ١٧٤هـ/ ٧٩٠م) ابنه معاوية لحصار أخيه سليمان بتدمير فدوخ نواحيها وهرب سليمان إلى جبال بلنسية فاعتصم بها، ورجع معاوية إلى أبيه بقرطبة، ثم طلب سليمان العبور إلى عدوة البربر بأهله وولده فأجازه هشام وأعطاه ستين ألف دينار صلحا على تركه أبيه وأقام بعدوة المغرب وسار معه أخوه = عبد الله، ثم إن أهل طليطلة دخلوا في طاعة الأمير هشام بعد منصرف أخويه عنهم فقبلهم وأمنهم، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١٦ - ١١٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/ ٦٢ - ٦٣ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/ ٣٦٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ١٢ - ١٣ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/ ١٢٤ .

(١) طرطوشة، قال الحميري: (من بلنسية إلى طرطوشة مائة ميل وعشرة أميال، مسيرة أربعة أيام، وهي في سفح جبل، ولها سور حصين، وبها أسواق وعمارات وضياع وفعلة، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبانها ووجبانها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، ومنه تتخذ الصواري والقري، وهو خشب أحمر صال في البشرة بعيد التغير لا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره من الخشب، ومنها إلى طركونة خمسون ميلاً، وبينها وبين البحر الشامي عشرون ميلاً)، الروض المعطار، ص ٣٩١ .

بهزيمة سعيد الأنصاري ومقتله وذلك سنة ١٧٤هـ/٧٩٠م^(١).

أما مطروح الأعرابي فإنه بعد مقتل سعيد الأنصاري زحف نحو سرقسطة ولاردة ووشقة ووسط نفوذه على المنطقة ، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك بقوله: (وخرج أيضاً مطروح بن سليمان بن يقطان بمدينة برشلونة ، وخرج معه جمع كثير ، فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة ، وتغلب على تلك الناحية ، وقوي أمره ، وكان هشام مشغولاً بحاربة أخويه سليمان وعبد الله)^(٢) ، كما قال ابن عذاري: (قدم مطروح بن سليمان بن الأعرابي على دعوة أبيه من برشلونة ؛ فتغلب على وشقة وسرقسطة والثغر كله)^(٣) ، فأرسل الأمير هشام قائده عبيد الله بن عثمان الذي حاصر سرقسطة وأثناء ذلك غدر بمطروح بعض أصحابه فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبيد الله وذلك سنة ١٧٥هـ/٧٩١م^(٤) ، فهذأت أمور الثغر لبعض الوقت.

إلا أن الأمور عادت إلى الاضطراب في بداية عهد الأمير الحكم بن هشام ، ذلك أن بني سلمة التجيبين كانوا أمراء متنفذين في

(١) ينظر عن ثورة سعيد الأنصاري على الأمير هشام: ابن الأثير، الأندلس من

الكامل في التاريخ، ص ١١٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٢/٢ ؛ النويري، نهاية

الأرب، ٢٠٧/٢٣ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٤/٤ .

(٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١١٨ .

(٣) البيان المغرب، ٦٢/٢

(٤) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٢٦ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ،

ص ١٢١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٦٣/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٧/٢٣ -

٢٠٨ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٤/٤ .

منطقة الثغر وكانت قاعدتهم الرئيسة مدينة وشقة ، فلما امتدت أيامهم أظهروا الظلم ولم يحسنوا معاملة الناس فقموا عليهم ، فثار عليهم بهلول بن مرزوق بن أسكرى ، وكان لأبي بهلول ثلاثون ولدا ذكراً ، فاستولى هو وأولاده على حصن ومنش من حوز برطانية ، فأراد بنو سلمة التجيبيون محاربتة فهادنهم وأخذوا ابنه بهلول رهينة ، وكان أجمل بني أبيه ، فضمه والي وشقة التجيبي إليه ، فاتفق مع جارية لبني سلمة علقته ، فأخذ أموالا لهم وهرب مع الجارية ، عندها هاجم بنو سلمة حصن مونش بجثاً عن بهلول حيث أقارب بهلول ، فأخبروهم أنه لا عهد لهم به وأنه رهينة عندهم فقبلوا منهم ، أما بهلول فلحق ببرشلونة إذ كانت له هناك خوولة ، وبقي هناك مدة ، لحق بعدها بقرية شلقوة من بسيط برطانية من عمل برشتر وكان له فيها أخت وصهر ، وكان عامل القرية من بني سلمة سيء السيرة فوثب عليه بهلول مع بعض أهل القرية فقتلوه ، وتحصنوا بحصن ربرش من عمل وشقة وتمكن من هزيمة قوة لبني سلمة جاؤوا لقتاله ، فدعا بالأمر لنفسه ووعد أهل تلك المناطق أن يحسن السيرة فيهم فدانوا له وأعانوه على بني سلمة التجيبيين ، ثم قصد مدينة وشقة فدخلها وملكها ودان له أهلها ، كما دخل سرقسطة وملك طرطوشة وامتد نفوذه إلى طليطلة ، وبذلك خضع له الثغر كله^(١).

واستمر استبداد بهلول بن مرزوق بالثغر حتى سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م

(١) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٥٧ - ٦٠؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ -

٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١٠٤.

عندما أرسل إليه الأمير الحكم عمروس بن يوسف المولدي الذي تمكن من قتل بهلول واستنزل أهل الخلاف هناك حتى دان له الثغر كله^(١) ، وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: (وقد استغلظ أمره بالثغر ، وتفرد بملكه ، وكان ينزل قاعدته سرقسطة ، وينزل ابنه يوسف تطيلة ، وابن عمه شمريط وشقة)^(٢) ، وبذلك استرد الأمير الحكم سلطانه على سرقسطة ووشقة ولاردة^(٣) واستمرت ولاية عمروس بن يوسف للثغر حتى وفاته سنة ١٩٧هـ/٨١٢م^(٤).

ويبدو أن تقريب عمروس بن يوسف من قبل الأمير الحكم وتوزيع مناطق الثغر على أقاربه أثار حفيظة أسرة بني قسي الذين يعدون أنفسهم أمراء الثغر منذ الفتح الإسلامي ، ولعل الأمير الحكم كان ينوي ضرب الأُسَر الكبيرة المتنفذة في الثغر ببعضها من أجل إضعافها فتبقى تابعة له ، وفي ذلك يقول ابن حيان: إن عمروس بن يوسف (تغلب على بلاد بني قسي ، وبنى جبل تطيلة... ونحى بنو قسي لما تغلب عمروس وضبط ما في يده من

(١) ينظر التفاصيل عن ثورة بهلول بن مرزوق: ابن حيان، م.ن، ص ١٠٥ - ١١٨ ؛ وقد اختلفت رواية العذري عن رواية ابن حيان، إذ أشار العذري إلى أن شخصا يدعى خلف بن راشد كان في خدمة بهلول هو من غدر به وقتله = سنة ١٨٦هـ / ٨٠٢م وملك الثغر كله واتصل ملكه هناك ستين سنة ومات بربيشتر، ترصيع الإخبار، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١١٩.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ١، ص ٢٣٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١٢٠، ١٣٤.

الثغر ، فملكه ملكا شديدا ، وزمّ أهله ، ودار على المولدين بوشقة الحيلة ، فقتلهم وأذلّ جماعتهم^(١) .

وكان رد فعل بني قسي أن ثاروا بسرقسطة وتطيّلة على الأمير الحكم وامتدت ثورتهم إلى باقي مناطق الثغر واستنجدوا بالنصارى إلا أن عمروس تمكن بعد حروب طويلة من هزيمتهم وقتل فرتون بن موسى القسوي^(٢) ، وبذلك تفرد بالثغر كله ، ولكن يبدو أنه بعد وفاة عمروس استعادوا نفوذهم في الثغر يفهم ذلك من قول العذري: إن موسى بن موسى القسوي كان على الطاعة حتى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم^(٣) .

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) استفحل أمر بني قسي ، فذكر ابن سعيد أنه (ما علمنا أنه خرج عليه مع طول أيامه خارج خلا ما كان من موسى بن موسى بن قسي بناحية الثغر الأعلى)^(٤) ، وكان موسى بن موسى على تطييلة وما والاها ، واستمر في ولاءه للأمير قرطبة مدة ، على

(١) المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١١٨ .

(٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢هـ/ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ١١٩؛ العذري،

ترصيع الإخبار، ص ٢٧؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٣٤ -

١٣٥ إلا أنه جعل ثورة بني قسي على الأمير الحكم سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م .

(٣) ترصيع الإخبار، ص ٢٩ .

(٤) المغرب، ١/٤٦ .

الرغم من صلة القربى بينه وبين أمير البشكنس^(١) ، ففي سنة ٨٣٨/هـ ٢٢٤م خرج مع جند الإمارة في مهاجمة النصارى^(٢) ، إلا أنه لم يستمر في ولاءه ، ففي الغزوة التي قادها عبد الرحمن على منطقة الثغر سنة ٨٤٢/هـ ٢٢٨م نكث موسى وخرج عن الطاعة والتحق بأمر البشكنس قريبه وظاهره ، وهناك روايتين عن سبب ذلك ، الأولى ذكرها ابن حيان ، قال: أنه في سنة ٨٤١/هـ ٢٢٧م غزا عبيد الله البلسي الثغر فأبلى معه موسى بن موسى إلا أنه وقع شر بينه وبين أحد رجالات الأمير عبد الرحمن يدعى خزر بن مؤمن فكان سبب خروجه عن الطاعة^(٣) ، والرواية الثانية ذكرها العذري ، قال: إن الأمير عبد الرحمن قام بتغيرات إدارية في الثغر فولى عبد الله بن كليب على سرقسطة وعامر بن كليب على تطيلة فأغاروا على أموال ينقة بن ونقة أخي موسى لأمه كما هدموا أرحاء وبساتين تعود لموسى بن موسى فانقبض موسى بسبب ذلك

(١) أشار ابن حيان إلى أن موسى بن موسى القسوي هو أخ لغرسيه بن ونقة ملك البشكنس لأمه، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢/هـ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٤٨.

(٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢/هـ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٢٩ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٣.

(٣) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠ - ٢٣٢/هـ ٧٩٦ - ٨٤٦م)، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ ؛ ينظر أيضا: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٧٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٦/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٣٨١ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٦٥.

وحارب حارث بن بزيع أحد قادة عبد الرحمن وأسرته^(١) ، فلما كان سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م وخرج الأمير عبد الرحمن للغزو فأمن موسى بن موسى وولاه أرنيط وصالح ينقة بن ونقة على الجزية ، إلا أنه عاد وخلع الطاعة سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م وحارب قوات الإمارة ثم صولح على تطيلة ، ولم يلبث خلع مرة أخرى وهاجم مدن الثغر بمساعدة قريبه أمير البشكنس فأرسل إليه الأمير من أرغمه وأخذ ابنه رهينة وجدد له على تطيلة وما حولها ، ثم ولي سرقسطة سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م ، بعدها جدد له الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) على الثغر كله حتى وفاته سنة ٢٤٨هـ/٨٦٢م^(٢) ، وقد علل عنان تغلب بني قسي وعدم ثباتهم على الطاعة بقوله إنهم: (كانوا من أنجاد الزعماء والفرسان ، يمتازون بالجرأة والإقدام والشجاعة ، ويعتزون دائماً بأصلهم القوطي النصراني ، وكانت لهم دائماً علاقات مصاهرة مع جيرانهم من الأمراء النصارى ، من البشكنس وغيرهم ، وكان إسلامهم في الواقع مظهراً سطحياً لاغتنام السلطان والنفوذ ، وكانوا لا يشعرون بالولاء نحو حكومة

(١) ترصيع الإخبار، ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) ينظر عن موسى بن موسى القسوي: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/ ٧٩٦-٨٤٦م)، ص ٤٤٨-٤٤٩، ٤٦٢-٤٦٣، والحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ/٨٤٦-٨٨٠م)، ص ٤-٥، ١٦، ٣١٥-٣١٨ ؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ١٨١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٧/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٥/٤، ١٦٧.

قرطبة ، يصانعونها متى وجبت المصانعة ، احتفاظاً بمركزهم وسلطانهم في الثغر ، ولكنهم لا يجزمون عن انتهاز أية فرصة للثورة عليها ، ومحالفة أعدائها من النصارى^(١) .

خلف موسى بن موسى القسوي من الولد لبا وإسماعيل ومطرفا وفرتونا ، ولم يكن هؤلاء أقل شأنا من أبيهم ، فقد انهكوا الإمارة في قرطبة بثوراتهم وتقلب ولاءاتهم ، حاول الأمير محمد بن عبد الرحمن إضعاف بني قسي وإبعادهم عن التحكم بمنطقة الثغر الأعلى ، فعين واليا من قبله على الثغر ، ذلك بأن أرسل عبد الوهاب بن مغيث إلى تطيلة وابنه محمد بن عبد الوهاب إلى سرقسطة ، عندها هاجم مطرف وإسماعيل ابنا موسى بن موسى تطيلة وانتزعاها من حاكمها كما ملكا سرقسطة وذلك سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م وعاودا نشاطهما في الثغر ومدنه وتحالفوا مع النصارى ، ولم تسفر جهود الأمير محمد وغزواته المتتالية في الحد من نشاط بني قسي الذين يحصلون على المدد والمساعدة من حلفائهم ، لذلك قرر سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م إرسال جيش كبير بقيادة ابنه محمد ووزيره هاشم بن عبد العزيز لسحق بني قسي ، فحاصروا سرقسطة وكان فيها إسماعيل بن موسى فلم يتمكنوا منها ، فهاجموا المدن التي حول سرقسطة فافتتحوها حصن روطة Rota^(٢) ثم انتزعوا لاردة

(١) دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٢٦٠.

(٢) روطة، قال ياقوت: هو حصن من أعمال سرقسطة، الأندلس من معجم البلدان، ص١٣٣.

حولها وكان فيها محمد بن لب بن موسى ، فلما رأى إسماعيل صاحب سرقسطة ذلك أعلن طاعته للأمير محمد ، إلا أن ذلك أدى إلى نشوب خلاف بين إسماعيل وابن أخيه محمد بن لب وانتهى القتال بينهما إلى انتصار محمد بن لب واستيلائه على سرقسطة وذلك سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م ثم استقر الأمر بينهم أن تكون سرقسطة وتطيلة وبلتيرة Valtirra لمحمد بن لب وأن ينزل إسماعيل بن موسى حصن منت شون من لاردة ، ثم عمل إسماعيل على اعمار لاردة^(١) ، وبقي الأخير فيها حتى وفاته سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م^(٢) .

وفي رواية أخرى أن محمد بن لب دخل سرقسطة في سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م وبقي فيها حتى سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م حيث ابتاعها منه وزير الأمير محمد بخمسة عشر الفا ، فولى الأمير محمد وبعده الأمير المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) والأمير عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) عمالا من قبلهم كان آخرهم أحمد بن البراء بن مالك^(٣) ، أما محمد بن لب فإنه نزل لاردة وبنى حصونها وأصبح ملاذا لكل هارب ، كما ضم إليه تطيلة وجعل بها ابنه لب بن محمد بن لب بن موسى ، وبقي محمد بن لب هناك حتى قتل بررض سرقسطة سنة

(١) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٠٦.

(٢) ينظر: العذري، ترصيع الإخبار، ص ٣١- ٣٤.

(٣) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٣٥- ٣٦.

٢٨٥هـ/٨٩٨م على يد أحد خواصه^(١) ، وكان قتله بداية الانحدار والسقوط لنجم بني قسي ، فذكر ابن القوطية أنه (لم يزل أمر بني قسي في وهى وإدبار من يومئذ)^(٢) وقد علق ابن حيان على ذلك بقوله: (وهوى نجم القسويين بعد مهلك محمد ، واعتورهم الأدبار)^(٣).

ولما قتل محمد بن لب سجل الأمير عبد الله لابنه لب بن محمد بن لب على تطيلة وطرسونة Tarazona^(٤) فضلا عن بسط سرقسطة ولاردة التي كانت بيدهم أيام أبيه ، عندها هاجم ملك البشكنس شانجة غرسيه الأول (Sancho Garcia I ٢٩٣-٣١٤هـ / ٩٠٥-٩٢٦م) لب بن محمد فدارت بينهم معركة هزم فيها النصارى بعد أن قتل أعدادا كبيرة منهم ، إلا أنهم كمنوا له وحصروه وتمكنوا من قتله وذلك سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م ، ثم ضعف أمر بني قسي بعد هذا التاريخ بسبب تفرقهم والهزائم التي لحقت بهم على يدي قوات الإمارة من جهة والنصارى من جهة أخرى ، وانحصر نفوذهم في لاردة ومنطقتها وكان آخرهم بها محمد بن لب بن محمد بن لب بن موسى القسوي الذي ضبط حصن منت شون وحصن بلغى وبريشتر واستقر

(١) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص١٠٩ ؛

العذري، ترصيع الإخبار، ص٣٦.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٤.

(٣) المقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢ م)، ص١٠٩.

(٤) طرسونة، قال ياقوت: مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة أربعة فراسخ، الأندلس من معجم البلدان، ص١٨٤.

هو في لاردة ، إلا أن أهل لاردة ثاروا عليه سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م وأخرجوه من مدينتهم وأدخلوا مكانه هاشم بن محمد التجيبي ، فخرج إلى حصن بلغى فقام إليه أهل الحصن وطردوه واستدعوا هاشم التجيبي ، لجأ بعدها محمد بن لب إلى حصن آره فتعقبه هناك هاشم التجيبي ، فرّ بعدها إلى وشقة ومنها إلى صهره ابن ريموند فأعجبه ما كان معه من السلاح والكرع والحلي فغدر به وقتله سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م وبذلك انتهت دولة بني قسي في الثغر الأعلى^(١).

مرّ بنا أن بني تجيب كانوا أمراء الثغر من العرب منذ الفتح الإسلامي واستمر نفوذهم حتى بديّة عهد الأمير الحكم بن هشام عندما ثار عليهم بهلول بن مرزوق سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م بسبب ظلمهم وسوء تدبيرهم ، وحل محلهم بني قسي الذين احتلوا موضع الصدارة في الثغر الأعلى تقريبا طيلة القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وكانوا مصدر قلق لإمارة قرطبة بسبب كثرة ثوراتهم وخروجهم عن الطاعة ، عندها أخذ أمراء قرطبة يبحثون عن بديل لهم لإضعافهم والتخلص منهم ، فوجدوا في بني تجيب الند الذي يمكن الاعتماد عليه ، ففي سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ولي الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني سرقسطة محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي ، وأقره على

(١) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٢٣- ١٢٤ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥- ٣٠٠ هـ / ٨٨٨- ٩١٢ م)، ص٣٥، ١٤٩ ؛ العنزي، ترصيع الإخبار، ص٣٧- ٤٠ وفيه تغطية كاملة لأخبار بني قسي ؛ عنان، = دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص٣٤٠- ٣٤٢ ؛ العليايوي، البشكنس، ص١٠٢- ١٠٦.

ذلك أيضا الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، وقد التزم الطاعة وساهم بشكل فعال في القضاء على بني قسي - كما مر بنا - .
وعندما توفي محمد بن عبد الرحمن التجيبي سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م خلفه ابنه هاشم بن محمد فأقره الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وحكم سرقسطة ولاردة وتوابعها واشترك في الغزو مع عبد الرحمن الناصر وتوفي سنة ٣١٨هـ/ ٩٣٠م ، فخلفه ابنه محمد بن هاشم التجيبي ، فأراد الناصر أن يختبر ولاءه ، فرفض الناصر أن يوليه الثغر ، وترددت الرسل بينهم ، ثم أقره على مبلغ من المال^(١) ، ولكن نيته قد تغيرت ، فلما خرج الناصر في غزوة له سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م ودعا إلى اللحاق به أظهر الخلع وانضم إلى محالفة النصارى ، فبعث الناصر وزيره عبد الحميد بن بسيل الذي حاصر سرقسطة ولكنه لم ينجح في اقتحامها فخرج الناصر بنفسه سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م فهب النصارى لمناصرة حليفهم محمد بن هاشم التجيبي ، فعمل الناصر على مهاجمة أراضي النصارى ليحول بينهم وبين محمد بن هاشم وتمكن من هزيمتهم وأرغمهم على الخضوع والاعتذار ، ثم سار إلى سرقسطة ومدنها وضرب الحصار على سرقسطة لعدة أشهر اضطر بعدها محمد بن هاشم على طلب الصلح مُنح بموجبه الأمان على أن يملكه سرقسطة وأن يسجل لأخيه يحيى بن هاشم على لاردة وأحوازها على أن يقدم رهائن من ولده

(١) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٤٤.

وإخوته وأن يقطع صلته بالنصارى من حد برشلونة إلى نبلونة إلى جليقية وأن لا يصلحهم أو يكاتبهم إلا بإذن الناصر ووقع الأيمان والأمان بجامع سرقسطة وبمخضر قاضي الجماعة بقرطبة وأشهد الجميع كل على نفسه والحاضرين وذلك في محرم من سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م^(١)، ثم وفد محمد بن هاشم التجيبي على الناصر بقرطبة فأكرم وفادته وجدد له ولايته على سرقسطة وتوابعها^(٢).

وقد التزم محمد بن هاشم التجيبي بشروط الصلح فعندما خرج الناصر لغزو مملكة ليون Leon سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، كان محمد بن هاشم في مقدمة من لبى النداء، فخرج من سرقسطة فهزم النصارى أولاً، إلا أنهم تكاثروا عليه وتمكنوا من أسره، فسجل الناصر ما كان بيده من الثغر (سرقسطة ولاردة) لأخيه يحيى بن هاشم وعجل في فكاكه فتم له ذلك سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م وأعادته على جميع الثغر^(٣). إلا أن لاردة ومدائنها قد انقسمت إدارتها بعد ذلك بين بني تجيب وبني الطويل، ذلك أنه في سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م تعرضت مدينة

(١) ينظر نص كتاب الصلح والأمان بين الناصر ومحمد بن هاشم التجيبي: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٠٤ - ٤١٠.
(٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٣٩٣ - ٤١٣؛ العذري، ترصيع الإخبار، ص ٤٣ - ٤٦؛ ابن خلدون، العبر، ١٨٢/٤؛ عنان، = دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ٢، ص ٤٠٥ - ٤١٣؛ العليايوي، البشكنس، ص ١٣١ - ١٣٣.

(٣) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٣٥ - ٤٣٦، ٤٧٣ - ٤٧٤؛ العذري، ترصيع الإخبار، ص ٤٦.

لاردة وبعض مناطق الثغر إلى هجوم خارجي اسماه ابن حيان أمة من الترك وأسماهم العذري المجوس ، ورواية ابن حيان أكثر تفصيلا ، قال: إن هذه الأمة خرجت إلى ثغر المسلمين من بلد الفرنجة جاءوا إليها من الشرق الأقصى من أرض مجاورة إلى أرض القسطنطينية ، وأنهم وصلوا إلى الثغر لعشر بقين من شوال سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م وحاصروا مدينة لاردة ثمانية أيام وأسروا صاحب برشتر يحيى بن محمد الطويل فقاتلهم المسلمون وضيقوا عليهم وتمكن محمد بن هاشم التجيبي من أسر خمسة رجال منهم بعث بهم إلى الخليفة الناصر في قرطبة ، وافتدى أحد التجار يحيى الطويل منهم بمبلغ ألف مثقال^(١) ، ولعل هؤلاء الذين هاجموا الثغر من القراصنة البحريين إذ تسللوا عبر نهر إيره من جهة طرطوشة ومنها إلى لاردة وكان هدفهم النهب والحصول على المال.

وهذا يعني أن بني تجيب لم ينفردوا في حكم الثغر الأعلى بعد سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م ، إذ ولي الناصر يحيى بن محمد بن عبد الملك الطويل برشتر بعد إطلاقه من الأسر واستمر واليا عليها حتي وفاته سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م^(٢) ، ثم ولي لب بن محمد الطويل برشتر بعد وفاة أخيه وبقي فيها حتى وفاته سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م خلفه عليها ابنه يحيى

(١) ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، ص ٤٨١-

٤٨٣؛ العذري، ترصيع الإخبار، ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٧٣.

بن لب بن محمد الطويل حتى سنة ٣٤٨هـ / ٩٥٩م^(١).
أما مدينة لاردة نفسها فلم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى ولايتها المباشرين ، ولعل ضياع أجزاء من كتاب ابن حيان جعلنا نجهل الكثير من حوادث الثغر للسنوات من ٣٣٠هـ / ٩٤١م إلى سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م ، وهي مدة حكم الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ / ٩٦١-٩٧٦م) ، فقد أشار ابن حيان إلى أنه في ربيع الآخر من سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م توفي والي مدينة لاردة أحمد بن يعلى ، فولى الحكم المستنصر مكانه عباس بن محمد بن عباس لاردة وعملها^(٢) ، وهذا يعني أن عمل لاردة وولايتها أخذ ينفصل إداريا عن ولاية سرقسطة وهو عكس ما جرى عليه الحال طيلة القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين أبان هيمنة الأسر الكبيرة على الثغر الأعلى مثل بني قسي وبني عمروس وبني تميم ، ويستثنى من ذلك بني تميم الذين استمر نفوذهم في منطقة الثغر طيلة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ولم تستطع السلطة في قرطبة القضاء عليهم ، ولعل ذلك يرجع إلى قوة العصبية والأنصار لديهم والتفاف العرب حولهم على الرغم من سعي السلطة الحثيث الحد من نفوذهم منذ عهد الخليفة الناصر.
وكان والي لاردة في سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م يدعى رزق بن الحكم

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٣.

(٢) المقتبس (الحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ، ص ٦٨ - ٦٩.

الجعفري ، ويبدو أنه كان عادلاً محسناً للرعية ، فذكر ابن حيان إلى أن وفدا من أهل لاردة جاء إلى قرطبة في رجب من السنة أعلاه لتقديم الشكر للخليفة والثناء على الوالي ، قال (في يوم السبت غرة رجب منها عرض الخليفة المستنصر بالله في طريقه بالمصاراة أسفل قرطبة ، وقد ركب يريد الزهراء ، جمع كثير من أهل ثغر لاردة ، قاصية الثغر الأعلى وذواتها ، نحو من ثلاثمائة راكب مبتهلين بالدعاء له واصلين بذلك شكر واليهم صاحب الشرطة رزق بن الحكم الجعفري والثناء عليه ، فتوقف عليهم ، وأمر بإدنائهم إليه ، فترجل وجوهمهم وقدمهم الحاجب من أكابر الفتيان الحافين به إلى رجله يقبلونها مسلمين مثنين ، وأمر باستنطاقهم رجلا رجلا على رسل من استيفاء أجوريتهم ، فلم يختلفوا في ذكر من حسن سيرته وجميل نظره وفاشي معدلته ، فسر بما أوردوه وأعلن حمد الله عليه وأمروا بالانصراف)^(١).

وفي شوال من سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م كان الوالي على لاردة وتوابعها محمد بن رزق الجعفري ، وهو ابن الوالي أعلاه ، ولم يشر ابن حيان إلى مصير السابق ، توفي أم نُقل إلى مكان آخر ، وقد ذكر ذلك في معرض حديثه عن اصطحاب والي لاردة لوفد يتكون من رسل ملك برشلونة وملك الفرنجة وملك قشتالة Castilla يطلبون تجديد الصلح مع الخليفة الحكم المستنصر^(٢) ، والذي يهمننا هنا الدور

(١) المقتبس (الحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ١٥١ - ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨ - ١٦٩.

الذي أخذ يلعبه والي لاردة في الوساطة ومرافقة الوفود بين حكومة قرطبة والممالك النصرانية والذي يعني أنه يتمتع بثقة الجميع ، ومع ذلك فإنه يلحظ سرعة تغير الولاة على لاردة وتوابعها في هذه المدة ، فلن تمض مدة قصيرة على الوالي السابق حتى طالعنا ابن حيان برواية ذكر فيها أن والي لاردة في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م هو القائد رشيق البرغواتي^(١).

وجاء ذكر الوالي الجديد في معرض حديث ابن حيان عن ثورة قام بها أحد رجالات بني تميم يدعى أبي الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي في حصن الرشد ، وهو من الحصون الواقعة في ثغر لاردة ، فكان أبو الأحوص يؤدي الأموال السنوية إلى والي لاردة ، فقطها وظاهر النصراري وراسلهم ، فحصره رشيق البرغواتي والي لاردة وضيق على أهل الحصن ، فراسلوه ، فاشتراط عليهم تسليم أبي الأحوص فأذعنوا إلى طلبه ، فأعطاهم الأمان وأرسل أبا الأحوص مكبلا إلى قرطبة^(٢).

ويبدو أن حكومة قرطبة أدركت قوة نفوذ بني تميم في الثغر الأعلى ، فقررت التخلي عن سياستها السابقة بالإستعانة بولاة من غيرهم ، فذكر ابن حيان بعد الحادثة أعلاه (ونفذ العهد إلى رشيق البرغواتي بالتخلي عن عمله لاردة ومنتشون وذواتهما لهشام بن

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٢) المقتبس (الحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ ينظر أيضا :

ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٤٩ حيث ذكر الرواية مختصرة.

محمد بن هشام التجيبي^(١)، كما أصدر الخليفة أمرا بإطلاق سراح أبي الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي مع أصحابه^(٢)، وبذلك عادت كل من لاردة وسرقسطة إلى بني تميم^(٣). وعلى الرغم من أن المنصور ابن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠١م) عمل على الإكثار من البربر واستدعى أعدادا كبيرة منهم من المغرب^(٤)، إلا أنه لم يستطع المساس بسلطة بني تميم في الثغر الأعلى، فكان عليه في أيامه عبد الرحمن بن مطرف التجيبي، كما اعتمد عليهم في بعض مهامه، فعندما أراد التخلص من قائد جيشه جعفر بن علي بن حمدون البربري استعان بفارس بني تميم أبي الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي الذي اغتال ابن حمدون ثم

(١) المقتبس (الحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ٢٢٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٩.

(٣) كان والي سرقسطة في هذا الأثناء عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي، ينظر: المقتبس (الحقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م)، ص ٢٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٢.

(٤) قال ابن عذاري في حديثه عن سياسة المنصور: (فاعتدل بالبرابرة أمره، وقوى ظهره، وكانت هذه القطعة من البربر نحو الستمائة، وما زال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمن الإحسان إليهم، والتوسعة عليهم، إلى أن أسرعوا إلى الأندلس، وانثأوا على ابن أبي عامر، وما زالوا يتلاحقون، وفرسانهم يتواترون، يجرى الرجل منهم بلباس الخلق على الأعجم، فيبدل له بلباس الخزان الطرازي وغيره، ويركب الجواد العتيق، ويسكن قصرا لم يتصور له في منامه مثله، حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس، ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبيطانته، وهم أظهر الجند نعمة، وأعلام منزلة)، البيان المغرب، ٢/٢٧٨ - ٢٧٩.

دس إلى التجيبي من قتله وأخفى ذلك^(١) كي لا يثير البربر ويني تجيب.

كان عبد الرحمن بن مطرف التجيبي من معقله في الثغر الأعلى يرقب سياسة ابن أبي عامر في التخلص من كبار القادة والزعماء بتوجس وحذر^(٢)، وكان للمنصور ابن اسمه عبد الله ناقما على أبيه لتفضيله أخاه عبد الملك عليه، فذهب عبد الله إلى سرقسطة ونزل عند صاحبها عبد الرحمن التجيبي فانتهاز الأخير الفرصة واستمال عبد الله على أبيه واتفقا على البطش بالمنصور فيكون لعبد الله قرطبة ولعبد الرحمن التجيبي الثغر وانضم إليهما العديد من الناقمين على المنصور، ولكن الأخير اكتشف المؤامرة وأعمل الحيلة في القبض على عبد الرحمن التجيبي وساقه إلى المقصلة ثم قبض على ابنه عبد الله وضرب عنقه^(٣)، إلا أنه لم يستطع المساس بسلطتهم في الثغر الأعلى فجعل مكانه ابنه يحيى بن عبد الرحمن التجيبي الملقب بسماجة^(٤) ربما استجلابا لهم وليحول دون تحالفهم مع جيرانهم من النصارى.

استمر يحيى بن عبد الرحمن التجيبي في حكمه لسرقسطة

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٢٧٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٥٤٩.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٢٨٢ - ٢٨٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٥٤٩ - ٥٥١.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٢٨٣.

ومدائنها حتى وفاته سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م فخلفه في الحكم ابنه المنذر بن يحيى التجيبي حتى وفاته سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م^(١) ، وقد امتدح ابن عذاري سياسة المنذر التجيبي في الثغر الأعلى بقوله: (وكان لأول ولايته قد ساس عظماء الأفرنج فحفظت أطرافه إلى أن مضى بسبيله والثغر مسدود لا ثغرة فيه ، وبلغ من استمالته طوائف النصرانية أن جرى بين يديه وبحضرته عقد مصاهرة بعضهم ، فقذفته الألسنة لسعيه في نظم سلك النصارى ، وقد قيل أن رأي منذر كان في ذلك أحصف ممن قدح فيه لنظره في صلاح وقته وعلمه بانصداع عصا أهل كلمته فأثر من الموادعة ما ستر به العورة وسدها بيسير الكلفة ، واختدع به عظيم الجلالة ريمونده وشانجه المحدثين أنفسهما يومئذ بمناهضة أهل الأندلس فألهامها عن الحرب وحبب إليهما الدعة ، وأغنم أهل الثغر في ذلك الوقت عاجل السلامة واستظفروا به على العمارة فحيوا وعاشوا في نعمة ضافية ، وعيشة راضية ، ولم يأت بعده من يسد مسده)^(٢).

خلفه في حكم الثغر ولده يحيى بن المنذر التجيبي الملقب بالمظفر وكان أقل كفاءة من أبيه ولم تطل مدته ولم تحمد سيرته وتوفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ، فولى بعده ابنه منذر بن يحيى بن منذر بن يحيى بن عبد الرحمن بن مطرف التجيبي وهو آخر حكام بني تميم في سرقسطة

(١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)، ص ٢٥٤.

(٢) البيان المغرب، ٣/١٧٦ - ١٧٧؛ ينظر أيضا: ابن الخطيب، أعمال الأعلام،

١٨٩/٢ - ١٩٠؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ٢٦٦، ٢٦٧.

وقتل على يد أحد أقاربه سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م فسادت الفوضى سرقسطة وعمّ الهرج حتى دخلها سليمان بن هود الجذامي سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م^(١) ، فكان عهده فاتحة عهد جديد في مدن الثغر الأعلى.

حل بنو هود محل بني تميم ، وهم من البطون العربية العريقة التي تنتسب إلى جذام وهو عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة ابن أدد بن زيد بن يشجب من الأزد^(٢) ، وجدهم الداخلى إلى الأندلس هو هود بن عبد الله بن موسى بن سالم^(٣) ، وبعد سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م وضعف بني تميم حكام الثغر ، وثب أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي وكان أحد كبار الجند في الثغر العالي على لاردة ومدائنهم فملكها من بني تميم وقتل آخر ولاتها أبو المطرف التميمي^(٤).

أما السنة التي تغلب فيها ابن هود على لاردة ، فقد اختلفت الروايات التي بين أيدينا بشكل كبير ، فابن الأثير أشار إلى أن

-
- (١) العذري، ترصيع الإخبار، ص ٤٨ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ١/ ابن الأبار، الحلة السرياء، ٢/٢٤٦ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/١٧٩ - ١٨١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٩١ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٩ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ٢، ٢٦٩ - ٢٧٠ .
- (٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٠ .
- (٣) ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٩ .
- (٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/٢٢١ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٦٧ .

المعتد بالله^(١) أخر الخلفاء الأمويين عندما خُلع سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م ذهب إلى أحد الحصون القريبة من قرطبة وحُبس هناك ثم احتال في الخروج منه ليلاً وسار إلى سليمان بن هود صاحب لاردة وبقي عنده حتى وفاته سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م^(٢)، وأورد المراكشي رواية ابن الأثير إلا أنه قال أن المعتد بالله توفي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م^(٣)، فيما ذهب ابن عذاري إلى أن: استيلاء ابن هود على لاردة كان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م^(٤)، أما ابن خلدون فكانت روايته أكثر تفصيلاً إذ قال: لما (خلع أهل قرطبة المعتلي بن حمود ثانياً سنة سبع عشرة، وباع الوزير أبو محمد جهور بن محمد بن جهور^(٥) عميد الجماعة، وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخي المرتضى، وكان بالشعر في لاردة

-
- (١) هو أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي بويح له بالخلافة سنة ٤١٨هـ/١٠٢٧م وتلقب بالمعتد بالله وخلع سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م وتوفي في لاردة منفيًا سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م، ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٦٨.
- (٢) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٦٨.
- (٣) المعجب، ص ٥١.
- (٤) البيان المغرب، ٣/٢٢١.
- (٥) هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبید الله بن محمد بن الغمرين يحيى بن عبد الغفار بن أبي عبدة الكلبي مولى بني أمية، صارت لإبيه رئاسة قرطبة بعد انتهاء الخلافة الأموية وكانت وفاته سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م، ينظر: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢/٢٠٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٩، ١٦٥؛ المراكشي، المعجب، ٥٢-٥٣؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٦.

عند ابن هود ، ولما بلغه خبر البيعة له انتقل إلى البوننت Alpuente^(١) ، واستقرّ عند المتغلب عليها محمد بن عبد الله بن قاسم ، وكانت البيعة له انتقل سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، وتلقب المعتد بالله ، وأقام مترددا في الشجر ثلاثة أعوام ، واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جمهور والجماعة ، ونزلها آخر سنة عشرين ، وأقام يسيرا ، ثم خلعه الجند سنة اثنتين وعشرين ، وفرّ إلى لاردة فهلك بها سنة ثمان وعشرين وانقطعت دولة الأموية^(٢).

نحن هنا أمام ثلاث روايات ، رواية ابن الأثير والمراكشي تجعل لجوء المعتد بالله إلى سليمان بن هود في لاردة بين سنة خلعه (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) وسنة وفاته (٤٢٧هـ أو ٤٢٨هـ/١٠٣٥م أو ١٠٣٦م) ، ورواية ابن عذاري التي تجعل دخول ابن هود لاردة سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م ، ورواية ابن خلدون التي ذهبت إلى أن المعتد بالله كان عند ابن هود في لاردة قبل سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م وأنه بعد خلعه رجع إليه وتوفي عنده سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م.

بدءا فأن رواية ابن عذاري يمكن استبعادها لأن المنذر التجيبي آخر حكام بني تجيب في سرقسطة قتل سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م وأن ابن هود في الشجر ودخل سرقسطة بعد مقتله ، ويبدو أن رواية ابن

(١) البوننت، حصن بالأندلس من عمل بلنسية، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٣.

(٢) ابن خلدون، العبر، ٤/ ١٩٦ ؛ ينظر أيضاً: المقري، فح الطيب، ١/ ٤٣٨.

خلدون هي الأرجح ، وذلك لأن يحيى بن عبد الرحمن التجيبي تولى سرقسطة وأعمالها بعد مقتل أبيه على يد المنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م وبقي فيها حتى وفاته سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م ، فخلفه ابنه المنذر وكان سليمان بن هود أحد الجند التابعين له واليا على تطيلة^(١) ولاردة^(٢) ، ثم اشترك المنذر التجيبي وسليمان بن هود في الفتنة والصراع على السلطة الذي دار في قرطبة أثناء بيعة المرتضى^(٣) ، وكانت بوادر الخلاف بين المنذر التجيبي وسليمان بن ظهرت أثناء القتال مع المرتضى ، فذكر ابن بسام (وأول من انهزم من ذلك العسكر منذر بن يحيى وخيران الصقلي ، وكان منذر قد أوقع في نفوس مدده من رجال الإفرنجية الذعر من غدر الموالي العامرين ، فشغل بذلك بالهم ، فلما انهزم لم يعرفوا السر ، وأجفل منذر في أصحابه الثغرين ، فمر بسليمان بن هود صاحبه وهو مثبت للإفرنجية لا يريم موقفه ، فصاح به: النجاة يا ابن الفاعلة ، فلست أقف عليك ، فقال له سليمان: جئت والله بها صلعاء ، وفضحت أهل الأندلس ثم

(١) ابن بسام، الذخيرة، ١/١٨٣.

(٢) ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٧٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٦٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ثار على علي بن حمود الحسني سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م ويأبىه الفتية العامريون إلا أنه قتل في نفس السنة بعد فشل ثورته، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ١/٤٥٣ - ٤٥٥؛ ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

انقلع وراءه ببقية عسكره^(١) ، ويبدو أن الخلاف توسع بين الجانبين بعد رجوعهما مهزومين إلى الثغر ، وبعد وفاته سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م كان ابنه يحيى بن المنذر الملقب بالمظفر اقل كفاءة من أبيه ومستضعفا وهو ما فسح المجال أمام ابن هود للاستقلال في بعض مناطق الثغر ، لذلك نرجح أن تغلب سليمان بن هود على لاردة كان بين سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م وسنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م ، وأن لجوء هشام بن محمد المعتد بالله إليه ربما كان للصلة التي جمعتهم أثناء ثورة أخيه المرتضى إذ أن الجميع فروا إلى الثغر بعد مقتل الأخير.

حكم سليمان بن هود الجذامي سرقسطة ولاردة وتوابعها حتى وفاته سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م ، وكان قبيل وفاته قسم مملكته بين أولاده ، فولى أحمد بن سليمان مدينة سرقسطة بعد أبيه ، وولى يوسف مدينة لاردة ، ولب مدينة وشقة ، والمنذر تطيلة ، ومحمد قلعة أيوب Calatayud^(٢) ، ويعلق ابن عذري على عمله هذا بقوله: (واستبد هؤلاء الأخوة كلهم بأعمالهم بعد أبيهم ودعا كل واحد منهم إلى حوزته)^(٣) ، وكان أحمد بن سليمان الملقب بالمقتدر صاحب سرقسطة أشدهم طمعا فاستطاع أن يحتال على أخوته الثلاثة ويستولي على مدنهم إلا صاحب لاردة يوسف بن سليمان الملقب

(١) الذخيرة، ١/٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٢؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٦٧؛ ابن

خلدون، العبر، ٤/٢٠٩ .

(٣) البيان المغرب، ٣/٢٢٢ .

بحسام الدولة والمظفر^(١).

وأشار ابن بسام إلى أن أحمد المقتدر بن هود حاول أن يدبر حيلة للتخلص من أخيه يوسف إلا أن محاولته فشلت ، إذ قال: (في رمضان من سنة خمسين وأربعمائة سقط الخبر إلينا بذلك ، وكانا اتفقا على الالتقاء طلبا للسلم والكف عن الفتنة ، فلما خرجا للمكان المتفق عليه ، تكارما في اللقاء وتدانيا دون أحد من أصحابهما ، وكلاهما حاسر أعزل ، على ما تشارطاه ، تمكينا لطمأنينتهما ، فتنازعا الكلام فيما جاءوا إليه ، فلم يرع يوسف إلا إطلال فارس عليه من ناحية موقف معسكر أخيه أحمد ، شاكى السلاح ، يبرق سنان رمحه ، وإذا بطريق من مستأمنة النصارى الحريين معه قد واطأه أحمد على الفتك بأخيه ، فانقض على يوسف وهو يكلم أخاه ، وأحمد يصيح ، حتى خالط يوسف وطعنه ثلاث طعنات ، وتحت ثوب يوسف درع حصينة كان قد استظهر بلباسها خلال أثوابه أبدا بالحزم ، فردت سنان الرمح عنه ، وصاح يوسف نحو أصحابه: غدرت فابتدروه ونجوا به وقيذا بجراحه ، وقد ابتدر أحمد رجاله ، واختلط الفريقان اختلاطا قبيحا ، كادت تقع بينهم ملحمة ، أطفأها أحمد بالبرؤ من العلج لوقته والبدار إلى قتله ، ورفع رأسه والنداء عليه ، فسكن شغب الفريقين)^(٢).

عندها قامت الحرب بين الجانيين وانضم معظم أهل الثغر إلى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٢٢.

(٢) الذخيرة، ٥/٤٢٣.

يوسف صاحب لاردة وأطاعوه ، وحدث أن أصاب أهل مدينة تطيلة
مجاعة فأراد يوسف إرسال المؤن إليها ، ولما كان طريق تطيلة يمر عبر
أراضي سرقسطة الخاضعة لأخيه المناهض له ، لذا راسل ابن ردمير
(غرسيه) ملك نافاررا Navarra أن يسمح بمرور المؤن عبر أراضيه إلى
تطيلة ، وعندما علم سليمان المقتدر بذلك بذل للملك النصراني
ضعف ما أعطاه أخوه يوسف لقاء أن يمكنه من القافلة ، وفعلا تمكن
من الاستيلاء على القافلة ويقتل رجالها ويستولي على أموالها^(١) ،
فكانت كما يقول عنان: (واقعة شنيعة تبنىء عما كانت تنطوي
عليه طبيعة أحمد المقتدر من صفات الغدر والاستهتار)^(٢) ، فكان
نتيجة ذلك على صاحب لاردة أن ضعف أمره وانضم معظم أهل
الشر إلى أخيه أحمد المقتدر ولم يبق له سوى لاردة^(٣).

ومن الأحداث الجسام التي وقعت في أيامهما هو غزو
النورمان Norman (الأردمانيين في المصادر العربية) سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م
لمدينة برشتر وهي إحدى أعمال مدينة لاردة ، وكانت تابعة آنذاك
ليوسف المظفر صاحب لاردة ، وبينما كان الأخوان مشغولين
بمخالفتهما ، وقد انهكت تلك الخلافات صاحب لاردة وأضعفته ،
إذ هاجم النورمان ثغور سرقسطة ومدائنهما ، فقصدوا مدينة وشقة ،
ولما لم يتمكنوا من اقتحامها اتجهوا إلى مدينة برشتر وضربوا عليها

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/ ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف، ص ٢٧٣.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/ ٢٢٣.

الحصار ولم يستطع يوسف المظفر انجادها كما لم يتدخل أحمد المقتدر بن هود لأنها من أملاك أخيه ، واستمر الحصار لها أربعين يوما ، وكان مما عجل في سقوطها هو قطعهم الماء الموصل إليها ، فكان نتيجة ذلك أن اشتد الظمأ والجوع بهم ، فضعف المسلمون عن المدافعة ، فدخل النورمان المدينة وأمعنوا فيها قتلا وسبيا ، وقد وصف ابن حيان - وكان معاصرا للحدث - ما فعله النورمان بأهل المدينة بقوله: (...فعدموا الماء وأيسوا من الحياة ، ودعوا إلى تأمينهم على النزول بأنفسهم خاصة دون مال وعيال ، فأعطاهم أعداء الله ذلك ، فلما خرجوا نكثوا بهم وقتلوا معا ،... ، فحصلوا من غنائم برشتر على ما لا يقدر حصره كثرة ، زعموا أنه صار لأكبر رؤسائهم ، قائد خيل رومة ، في حصته نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا كلهن ، ومن أوقار الأمتعة من الحلي والكسوة والوطاء خمسمائة حمل ، وتحدث أيضا أنه أصيب في هذا القتل والسبي مائة ألف نسمة ، وشد الكفار أيديهم بمدينة برشتر واستوطنوها ، وهلك من نساء برشتر جملة يكثر عددها عند إفلاتهن من عطش القصبلة لتطارجهن على الماء يكرعن فيه بغير مهل ، فكبهن للأذقان موتى ، وكان الخطب في هذه النازلة أعظم من أن يوصف أو يتقصى ، قال أبو مروان: وبلغني أنه كانت المرأة تطلع من فوق سور المدينة ، فتنادي من يدنو إليها من الكفرة عن جرعة ماء لنفسها أو لطفلها ، فيقول لها: هاتي ما معك ، ألقى إلي ما يرضيني أسقك ، فتلقي إليه ما عندها من كسوة أو حلية أو مال ، وتدلي نحوه ما

حضرها من قرية أو أنية في رشاء ، فتغيث به نفسها أو طفلها ... ولما برز جميع من بقي من أهل المدينة عنها إلى فناء بابها بعد من خفف منهم بالقتل ، وهلك في الزحمة ، ظلوا قيما ذاهلين منتظرين لنزول القضاء بهم ،... ، اقتسمهم المشركون بأمر سلطانهم قسمة قرروها بينهم ، فكل من صارت في حصته دار حازها ، وحاز ما فيها من أهل وولد ومال ، يحكم كل عالج منهم في من سلط عليه من أرباب الدور بحسب ما يتليه الله به منهم ، يأخذ كل ما أظهره عليه من نشب ، ويقرره على ما أخفاه عنه ، يعذبه أنواعا من العذاب حتى يبلغ نفسه عذرها منه ، فرما زهقت نفس المسلم دون ذلك فاستراح ، وربما أنظره أجله إلى أسوأ من ذلك ، فإن عداة الله كانوا يومئذ يتولعون بهتك حرم أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم ، إيلغا في تعذيب قلوبهم ، يغشون الثيب ويفتضون البكر ، وزوج تلك وأبو هذه موثق بقيد إيساره ، ناظر إلى سخنة عينه ، فعينه تدمع ، ونفسه تقطع ،... ولما عزم ملك الروم على القفول يومئذ من برشتر إلى بلده ، تخير من بنات المسلمين الجوارى الأبقار ، والثيبات ذوات الجمال ، ومن صبيانهم الأيفاع والحزاور الحسان ألوفا عدة ، حملهم معه ليهديهم إلى من فوقه ، وترك برشتر من رابطة خيله ألفا وخمسمائة ، ومن الرجال ألفين^(١).

(١) نقلا عن: ابن بسام، الذخيرة، ١٨٢/٥ - ١٨٦ ؛ ينظر أيضا: البكري، المسالك والممالك، ٩١٠/٢ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٢٢٥/٣ - ٢٢٧ ؛ الحميري،

كان وقع النكبة كبير على أهل الأندلس ولحق المقتدر بن منها أكبر وزر لموقفه المتفجع ، فلما رأى ذلك ، تحرك لاسترجاعها ، وفي ذلك علق ابن حيان على موقف ابن هود بقوله: (ذلك أن أحمد بن هود الملقب بالمقتدر ، المفرط فيها ، والمتهم على أهلها لانحرافهم إلى أخيه ، صمد لها مع مدد عباد حليفه ، وسعى لإصمات سوء القالة عنه)^(١) ، فاستنفر الناس للجهاد وأرسل إليه المعتمد بن عباد خمسمائة فارس ، وسار إلى برشتر في جماد الأولى من سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م ، ووصف ابن حيان استرجاع لمدينة من النصارى بقوله (... فتأهب لقصد برشتر ، فسار نحوها ، ورجال ابن عباد نحو من خمسمائة فارس ، مقدمته من شداد البرابرة وغيرهم من أبطال الأندلس ، فنزل عليها بجمعه ، فجالدوا المسلمين بباب المدينة جلادا ارتاب منه كل جبان ، وأغوى الله أهل الحفيظة والشجعان ، وحمي الوطيس بينهم إلى أن نصر أوليائه ، وزلزل أعداءه ، وولوا الأدبار مقتحمين أبواب المدينة ، فاقتحم المسلمون عليهم وملوكهم أجمعين ، إلا من فر من مكان الوقعة ولم يأت المدينة ، فأجبل السيف في الكافرين ، واستوصلوا أجمعين ، إلا من استرق من أصغارهم ، وابتغوا الفداء من أعاضهم ، وسبوا جميع من كان فيها من عيالهم وأبنائهم ، وتملكوا المدينة بقدرة الخالق الباري ، وأصيب

الروض المعطار، ص ٩٠ - ٩١؛ المقرئ، نضح الطيب، ٤/٤٤٩ - ٤٥١؛ عنان،

دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف، ص ٢٧٤ - ٢٧٨.

(١) ابن بسام، الذخيرة، ٥/١٨٩.

على منحة النصر المتاح طائفة من حماة المسلمين ، الجادين في نصر الدين ، نحو الخمسين ، كتب الله شهادتهم ، وقتل فيها من أعداء الله الكافرين نحو ألف فارس وخمسمائة راجل ، فاستولى المسلمون بحمد الله عليها ، وغسلوها من رجس الشرك...^(١) ، وأشار البكري إلى أن ابن هود غنم من النصارى (نحو خمسة آلاف سبية ونحو ألف فرس وألف درع وأموالا كثيرة وثيابا جليلة)^(٢) ، قال وعلى اثرها تلقب أحمد بن سليمان بن هود بالمقتدر بالله^(٣) ، وقد دام احتلال النصارى لها تسعة أشهر^(٤) ، وقيل سنة^(٥).

وعلى الرغم من التحديات الكبيرة التي واجهت الأخوين في برشتر إلا أنهما لم يعيا الدرس ، فاستمر الخلاف بينهما على أشده ، وقد كان المقتدر بن هود يستعين على أخيه يوسف المظفر بجنود من النصارى لقاء جزية يؤديها إليهم إلى أن تمكن من حسم الصراع لصالحه ، إذ انتهت المعارك بينهما إلى أن وقع يوسف المظفر بن هود أسيرا بيد أخيه المقتدر فاعتقله في حصن روطة وبقي

(١) نقلا عن: ابن بسام، الذخيرة، ١٩٠/٥ ؛ ينظر أيضا: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٧/٣ ؛ المقري، نوح الطيب، ٤٥٤/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، دول الطوائف، ص ٢٧٩.

(٢) المسالك والمملك، ٩١٠/٢.

(٣) المسالك والمملك، ٩١٠/٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ٩١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٧/٣.

يوسف في معتقله حتى وفاته سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م وأصبحت لاردة ضمن ممتلكات المقتدر صاحب سرقسطة^(١).

وقع المقتدر بن هود بنفس الخطأ الذي ارتكبه والده من قبل ، فقسم مملكته بين ولديه ، فأعطى ابنه الأكبر يوسف المؤتمن سرقسطة وأعمالها^(٢) ، وخص ولده الأصغر المنذر لاردة ومنتشون وطرطوشة ودانية Denia^(٣) ، وهكذا عادت الحرب بين الأخوين بسبب خلافهما على مناطق النفوذ ، واستعان كلا منهما بالنصارى الذين اغتتموا الفرصة لتأجيج الصراع بين الأخوين من أجل إضعافهما ، فتحالف يوسف المؤتمن مع السيد الكمبيادور (القمبيطور) Cid ElCampeador^(٤) ، فيما تحالف المنذر صاحب لاردة مع ملك أراغون

(١) المصدر نفسه، ٣/٢٢٩ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) المصدر نفسه، ٤/٥٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٩.

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٨٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٣٩.

(٤) وهو فارس قشتالي مغامر تزعم فرقة من الفرسان النصارى وأخذ يجوب شرق الأندلس ويستأجر نفسه لحكامها ثم يضرب بعضهم ببعض من أجل إضعافهم، وكانت له صداقة مع أحمد المقتدر بن هود ثم مع ولده يوسف المؤتمن ولعب دورا في صراع بين حكام بني هود، ثم لما رأى اختلال الأمور في بلنسية توجه إليها بصحبة المستعين الأصغر بن هود وضرب عليها الحصار مما اضطر أهلها إلى الاستسلام بعد أن عقدوا معه معاهدة تصب في صالحه وأسياده حكام قشتالة، وكان ذلك سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وصادر أموال القادر ثم نقض الصلح مع أهالي المدينة وقتل القاضي ابن جحاف الذي وقع معه المعاهدة بعد أن عذبه حرقا

Aragon وأمير برشلونة ، ووقعت معركة بين الجانبين على مقربة من لاردة هُزِمَ فيها المنذر وحلفاءه ووقع أمير برشلونة فيها أسيراً ، إلا أن وفاة يوسف المؤمن صاحب سرقسطة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م أعاد المعادلة إلى سابقها إذ تولى ابنه أحمد المستعين سرقسطة وأعمالها وبقيت لاردة وأعمالها بيد عمه المنذر^(١).

شغل المستعين في بداية حكمه بمحاولات الفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة (٤٥٨-٥٠٢هـ / ١٠٦٥-١١٠٨م) الاستيلاء على سرقسطة وذلك مباشرة بعد دخوله طليطلة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م فسار إليها وحاصرها وضيق ولم ينقذ الموقف إلا عبور المرابطين Almoravides Los سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م عندها اضطر الفونسو أن يرفع الحصار ويتجه لمواجهةهم^(٢) ، ولكن انهزام الفونسو في الزلاقة Sagrojas^(٣) ، جعل المستعين بن هود يتنفس قليلاً ، إذ شغل النصارى مدة بأثر الهزيمة ، عندها عاد الخلاف والنافس بين

بالتار، ثم أمر بإحراق جماعة من أعلام أهل المدينة وسام أهلها العذاب مما اضطر الكثير منهم إلى مغادرتها ولم ينقذ ذلك الوضع إلا وفاته سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٩٥/٥ - ١٠٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣١/٢ - ٤٢ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٣١ - ٢٤٨.

(١) عنان، دول الطوائف، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩١ - ٩٥.

(٣) عن موقعة الزلاقة ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١١٦/٧ - ١١٧ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٤٥ - ١٤٩ ؛ الذهبي، سير، ٤٤٥/١١ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص ٣٦ - ٤٤.

المستعين وعمّه المنذر صاحب لاردة ، فالأخير بدلاً من أن يعمل على تحصين بلاده ضد أطماع النصارى ، عمل توسيع نفوذه جنوباً وطمع بالاستيلاء على بلنسية Valencia سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ، عندها سارع ابن أخيه المستعين بالاستعانة بالكمبيادور منافسا لعمه ، واتفق مع الكمبيادور على اقتسام بلنسية ، فلما علم المنذر صاحب لاردة بمقدمهما وأدرك أنه لا طاقة له بهما أثر الانسحاب إلى لاردة^(١) وتوفي بها بعدة مدة وذلك سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م فخلفه في حكم لاردة ابنه سليمان بن المنذر الملقب بسعد الدولة^(٢) ، ولم توضح المصادر كيف انتهى حكمه في لاردة ، ولكن ابن عذاري أشار إلى أنه في سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م كان ما تبقى من الثغر الأعلى تابعا إلى المستعين بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامي (٤٧٨-٥٠٣هـ / ١٠٨٥-١١٠٩م) ، قال: (أقام ببلاده بشرق الأندلس وكان يومئذ بيده عمالة الثغر الأعلى وهي: سرقسطة وتطيلة وقلعة أيوب ودروقة ووشقة وبرشتر ولاردة وأفراغة وبلغني ومدينة سالم ووادي الحجارة)^(٣) ، وهذا يعني أن لاردة وتوابعها تبعت مرة أخرى إلى صاحب سرقسطة. ولكن يبدو أن المستعين بالله بن هود لم يستطع الاحتفاظ بتلك المناطق مدة طويلة ، فكان يدهمه خطران الأول من الشمال المتمثل

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٩٨ ؛ عنان، دول الطوائف، ص ٢٣٥.

(٢) عنان، دول الطوائف، ص ٢٩٠.

(٣) البيان المغرب، ٤/١٤٤ ؛ ينظر أيضا: ابن سعيد، المغرب، ٢/٤٣٧ ؛ ابن الخطيب،

الحلل الموشية، ص ٥٥.

بالممالك النصرانية والثاني من الجنوب المتمثل المرابطين^(١) ، وفي هذا الأثناء أخذت القوات المرابطية أخذت تحرز انتصارات مهمة في شرق الأندلس فتمكنت في سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م من بسط سيطرتها على مرسية Murcia ثم شاطبة Jativa ودانية ، وتبعها بلنسية^(٢) ، ثم في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م دخلت القوات المرابطية مدينة أفرغيه Fraga^(٣) ، وقد رجح عنان أن تكون لاردة وطرطوشة قد دخلت هي الأخرى في حكم المرابطين^(٤) ، ويبدو لنا أن لاردة قد دخلها المرابطون بعد سيطرتهم على أفرغة-أي في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م- إذ أن الأخيرة من توابعها وتقع في سمتها وبينهما سبعة عشر ميلا^(٥) .

ولم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى ولاية لاردة من المرابطين ، ولكن يبدو أنها كانت تابعة إلى والي شرق الأندلس المرابطي وكان مقره بلنسية ، وقد تعاقب على حكم تلك المناطق عدد من القادة المرابطين منهم محمد بن عائشة الذي فتح أفرغة^(٦) ، ولعل ابن عائشة ظل واليا على شرق الأندلس ومناطق الثغر ومنها لاردة حتى

-
- (١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٨٨.
- (٢) ينظر: ابن الأثير، الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣١٥ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٦.
- (٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٦.
- (٤) دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٩٠.
- (٥) ينظر عن المسافة بينهما: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨.
- (٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٦.

سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م عندما عين أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) القائد المرابطي أبو عبد الله محمد بن الحاج واليا على شرق الأندلس وبقي هناك حتى مقتله في غزوة له على برشلونة سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م^(١) ، وقد بقي ابن عائشة في لاردة تابعا لابن الحاج^(٢).

وفي مدة ولاية القائد المرابطي ابن الحاج على شرق الأندلس قام بضم مدينة سرقسطة إلى الحكم المرابطي وذلك سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م بعد مقتل المستعين بالله بن هود في معركة له مع النصارى^(٣) ، وقد شهدت مدة حكم ابن الحاج سرقسطة نشاطا كبيرا للقوات المرابطية ، فلما كان سنة ٥٠٨ هـ/١١١٤م سار كلا من ابن الحاج وابن عائشة نحو برشلونة واخترقت قواتهم أراضيها حتى شارفوا على ظاهرها وحازوا على الكثير من الغنائم ، وفي طريقه إلى سرقسطة نصب له النصارى كميناً وتمكنوا من قتله وأفلت ابن عائشة إلى سرقسطة^(٤) ، فولى المرابطون سرقسطة وتوابعها من الثغر القائد أبا بكر بن إبراهيم بن

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٦١/٤ جعل وفاته سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٦٠.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٧٥.

(٣) ابن الأثير، الحلة السيرة، ٢٤٨/٢ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٤٣٨/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٥/٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٣/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٠٩/٤.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٦٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٧٥.

تيفلويت وكانت له حروب مع صاحب برشلونة^(١) وبقي فيها حتى وفاته سنة ٥١١هـ/١١١٧م^(٢) حيث خلفه فيها الأمير المرابطي عبد الله بن مزديلي الذي بقي فيها عاما كاملا ثم توفي حسب رواية ابن أبي زرع إذ قال: (وفي سنة إحدا عشر وخمسمائة ولي عبد الله بن مزديلي بلنسية وسرقسطة ، فسار إليها من غرناطة ، فوجد ابن ردمير اللعين قد أذلّق أهلها شرا ، وكانت بينهما حروب عظيمة حتى هزمه وأخرجه من البلاد ، وأقام عبد الله بن مزديلي على سرقسطة عاما كاملا ، فتوفي ، فبقيت سرقسطة دون أمير)^(٣) ، وهنا يتساءل عنان قاتلا: (وإنه لما يلفت النظر أنه لم يعين في تلك الآونة العصبية ، التي لاح فيها الخطر داهماً على سرقسطة ، وال جديد يخلف على الفور واليها المتوفى ، خصوصاً وقد كان أمير المسلمين علي بن يوسف موجوداً في تلك الفترة بالذات(٥١١ هـ/١١١٧ م) في شبه الجزيرة ، عقب جوازه الثالث إليها ، وأعجب من ذلك هو أن علي بن يوسف ، بدلا من أن يتجه بجيوشه الجرارة العابرة معه ، إلى مواطن الخطر في الثغر الأعلى ، يؤثر أن يضطلع بغزوات عقيمة في أراضي البرتغال Portugal ، يستولي خلالها على مدينة قلمرية Coimbra ، ثم يتركها عقب افتتاحها)^(٤).

قد يبدو هذا التساؤل مشروعا ، ولكن رواية ابن أبي زرع تحمل

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٦١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٧/١٤.

(٣) روض القرطاس، ص ١٦٢.

(٤) دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٨٩ - ٩٠.

إجابة عليه إذ قال في سنة ٥١١هـ/١١١٧م: (فأتاها الفونسو الأول ملك أراكون فنزلها ، وأتا الفنش أيضا في أمم لا تحصى من الروم فنازل لاردة من بلاد الجوف ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فكتب إلى أمراء غرب الأندلس بالمسير إلى ناحية تميم ، وكان واليا على شرق الأندلس ، ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة ، فقدم على تميم عبد الله بن مزدلي وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهما ، فخرج تميم بن يوسف بن تاشفين من بننسية مع أمراء لمتونة ، فقصد لاردة وكان بينه وبين الفونسو الأراكوني قتال عظيم أقلعه عن لاردة خاسئا خاسرا ، بعد أن بذل جهده في حصارها وقتالها ، وفقد عليها من جيوشه ما يزيد على عشرة آلاف فارس ، ورجع تميم إلى بننسية^(١) ، وعلى الرغم من وجود بعض التناقضات في هذه الرواية مثل تكرار اسم الفونسو الأول والفنش وهما واحد وهو الفونسو الأول المحارب ملك أراكون (٤٩٩-٥٢٩هـ/١١٠٥ - ١١٣٤م)^(٢) ، إلا أن هذه الرواية ينبغي أن توضع في سياقها ، فحملة تميم بن يوسف استطاعت أن تنقذ مدينة لاردة من السقوط في أيدي النصارى سنة ٥١١هـ/١١١٧م ، ويبدو أن هذه الحملة كان لها الأثر في تأخير سقوط لاردة لعدة عقود - كما سنرى - على عكس سرقسطة التي سقطت في العام التالي ، وربما

(١) روض القرطاس، ص ١٦٢ - ١٦٣ ؛ ينظر أيضا: السلوي، الاستقصا، ٦٧/٢ ؛

أشباح، تاريخ الأندلس، ١٤٣/٢ - ١٤٤ .

(٢) ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٩٣ .

يرجع ذلك إلى قوة تحصيناتها التي وصفها الحميري بالقول: (وحصنها منيع فلا ترام بقتال ولا يطمع فيها بطول حصار)^(١). وفي العام التالي (أي سنة ٥١٢هـ/١١١٨م) سقطت مدينة سرقسطة بأيدي النصارى^(٢) فحلت بالمسلمين فاجعة لا تقل عما حدث عند سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، فلم يبق من المناطق الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى سوى لاردة وأفراغة وطرطوشة^(٣)، وهي المنطقة الممتدة على طول نهر إيره حتى مصبه عند طرطوشة، وكان الفونسو الأول المحارب ملك أراكون يتوق إلى إجلاء المسلمين من هذه المنطقة^(٤)، من جانبهم عمل المرابطون ومن أزرهم من الأندلسيين على تعزيز وجودهم في هذه المنطقة، إذ كان بالإمكان الوصول إليها جنوباً من بلنسية وكذلك عن طريق البحر من ثغر طرطوشة، وتسلم مهمة الدفاع عن مدينة لاردة رجالاً من أهل الأندلس يدعى أبو محمد عبد الله (وقيل عبد الرحمن) بن عياض

(١) الروض المعطار، ص ٥٠٧.

(٢) ينظر التفاصيل عن سقوط مدينة سرقسطة: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١١٧ - ١١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٧ روايته مقتضبة؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٧/١٤؛ السلاوي، الاستقصا، ٦٧/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٩٢ - ١٠٢.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٧٧/١٤.

(٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ١١٦.

وعن مدينة أفرافة محمد بن مردنيش الجذامي^(١) ، وقد وصف المراكشي ابن عياض بقوله: (رجل من أعيان الجند اسمه عبد الرحمن بن عياض ، وكان عبد الرحمن هذا من صلحاء أمة محمد وخيارهم ، بلغني عن غير واحد من أصحابه أنه كان مجاب الدعوة ، من عجائب أمره أنه كان أرق الناس قلباً وأسرعهم دمعة ، فإذا ركب وأخذ سلاحه لا يقوم له أحد ولا يستطيع لقاءه بطل ، كان النصراري يعدونه وحده بمائة فارس ، إذا رأوا رأيته قالوا: هذا ابن عياض هذه مائة فارس فحمى الله تلك الجهات ودفع عنها العدو ببركة هذا الرجل الصالح ، وانتشر له من الهيئة في صدور النصراري ما درهم عن البلاد)^(٢).

وقد أبلى ابن عياض في الدفاع عن مدينة لاردة ضد أطماع النصراري وخاصة مملكة أراكون ، وتحدث الروايات عنه أنه كان قوي الجسم شديد البطش ، منها أنه عندما كان شابا صارع روميا غلب جميع من في بلاد الأندلس فأمسك بخاصرة الرومي ورفعته ثم طرحه أرضا فطار دماغه ، ومنها رواية شاهد عيان قال: هاجم النصراري لاردة ووقفوا عند بابها وخرج أحد الخيالة فطلب المبارزة (فخرج إليه ابن عياض عليه قميص طويل الكم قد أدخل فيه حجرا مدحرجا ، وربط رأس الكم ، وتقلد سيفه ، والرومي شاك في

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٤٧/١٤.

(٢) المعجب، ص١٥٤؛ وقال كان محمد بن سعد بن مردنيش من خدم ابن عياض ورجاله.

سلاحه فحمل عليه ابن عياض ، فطعنه الرومي في الطارقة ، فنشب الرمح ، فأطلقها ابن عياض من يده ، وبادر فضرب الرومي بكمه فنثر دماغه ، فعجبنا ، وكبرنا ، فاشتهر ذكره على صغر سنه ، وأما أنا فحضرت معه أيام مملكته حروبا ، كان حجر لا يؤثر فيه ، وكان في هيئته كأنه برج غريب الحلقة^(١).

كان وجود قوة من الأندلسيين المدعومة من المرابطين في مثلث لاردة أفرغه طرطوشة شغل بال الفونسو المحارب ملك أراكون ، فهم فضلاً عن هجماتهم المتكررة على أراضيهم ، كانوا حائلا دون اتصال عاصمته سرقسطة بالبحر المتوسط ، عندها عمل على التغلب على تلك المناطق ، فبدأ بأفراغة وضرب الحصار عليها سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م ، فهرعت قوات الثغر للدفاع عنها ، وأرسلوا صريخهم إلى باقي مناطق الأندلس ، وقد حدد المصادر القوات التي جاءت للدفاع عن المدينة بالتالي: الزبير بن عمرو اللمتوني أمير قرطبة ومعه ألفا فارس ، يحيى بن غانية أمير بلنسية ومرسية فتجهز في خمسمائة فارس ، عبد الله بن عياض صاحب لاردة فتجهز في مائتي فارس ، وعندما أشرفوا على مدينة أفراغة جعل الزبير الميرة أمامه وابن غانية أمام الميرة وابن عياض أمام ابن غانية وذلك لشجاعته ، ويصف ابن الأثير الموقف والمعركة بقوله: (وكان ابن ردمير في اثني عشر ألف فارس ، فاحتقر جميع الواصلين من

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦٣/١٥.

المسلمين ، فقال لأصحابه: اخرجوا وخذوا هذه الهدية التي أرسلها المسلمون إليكم ، وأدركه العجب ، ونفذ قطعة كبيرة من جيشه. فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم ، ورد بعضهم على بعض ، وقتل فيهم ، والتحم القتال ، وجاء ابن ردمير بنفسه وعساكره جميعها مدلين بكثرتهم وشجاعتهم ، فحمل ابن غانية وابن عياض في صدورهم واستحروا الأمر بينهم وعظم القتال فكثرت القتل في الفرنج ، وخرج في الحال أهل أفرغة ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، إلى خيام الفرنج ، فاشتغل الرجال بقتل من وجدوا في المخيم ، واشتغل النساء بالنهب ، فحمل جميع ما في المخيم إلى المدينة من قوت وعدد وآلات وسلاح وغير ذلك ، وبينما المسلمون والفرنج في القتال إذ وصل إليهم الزبير في عسكره فانهزم ابن ردمير وولى هارباً واستولى القتل على جميع عسكره فلم يسلم منهم إلا القليل ، ولحق ابن ردمير بمدينة سرقسطة ، فلما رأى ما قتل من أصحابه مات مفجوعاً بعد عشرين يوماً من الهزيمة^(١).

كان من أهم نتائج انتصار المسلمين في موقعة أفرغة أن قل الخطر عما بقي بأيدي المسلمين من أراضي الثغر الأعلى ، خاصة وأن هلاك الفونسو الأول المحارب شكل صدمة كبيرة لهم ، لأنه كما

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ ينظر أيضاً: ابن القطان، نظم الجمان، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/٣٦ - ٤٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ١٢٠ - ١٢٤ ؛ أشباح، تاريخ الأندلس، ١٦٤ - ١٦٥.

وصفه ابن الأثير بأنه كان(من أشد ملوك الفرنج بأساً ، وأكثرهم تجرداً لحرب المسلمين ، وأعظمهم صبراً ، كان ينام على طارقه بغير وطاء ، وقيل له: هلا تسريت من بنات أكابر المسلمين اللاتي سبيت؟ فقال: الرجل المحارب ينبغي أن يعاشر الرجال لا النساء)^(١).
إلا أن المسلمين لم يستثمروا انتصارهم في أفراغة ، فضيعوا بذلك فرصة مهمة كان يمكن من خلالها استعادة بقية مناطق الثغر الأعلى وخاصة سرقسطة ، وقد علق عنان على ذلك بقوله إن: (المرابطين ، بالرغم من نصرهم الساحق في موقعة أفراغة ، وتمزيقهم للجيش الأرجوني شرمزق ، لم يفكروا في الاستفادة من نصرهم بالزحف توأ على سرقسطة ، ومحاولة استردادها ، وقد كانت على مقربة من ساحة نصرهم ، وكان سحق الجيش الأرجوني ، وهلاك عاهله ، مما يشجع على الاضطلاع بمثل هذه المحاولة ، ولكن المرابطين قنعوا في ذلك الموطن بالنصر ، وانصرفوا إلى قواعدهم ، على غرار ما حدث عقب نصر الزلاّقة... ولو أنهم حشدوا مزيداً من قواتهم في الثغر الأعلى ، على أثر انتصارهم في أفراغة بقيادة قائدهم البطل يحيى بن غانية ، لكانت لديهم بلا ريب فرصة مرجحة ، لاسترداد الثغر الإسلامي العظيم - سرقسطة - وفي رأينا أن المرابطين ، بإحجامهم عن استغلال ظفرهم في الزلاّقة وأفراغة ، وإحجامهم في الحالة الأولى عن محاولة استرداد طليطلة ، وفي الثانية عن محاولة

(١) الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦١.

استرداد سرقسطة ، قد ارتكبوا في الحالتين خطأ عسكرياً لاشك في خطورته ، وكانت له في الحالتين نتائج بعيدة المدى^(١).

تعرضت الدولة المرابطين إلى تحديات خطيرة وكبيرة في ثلاثينيات القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي سواء في المغرب أم الأندلس ، ففي المغرب توسع نفوذ الموحيدين وسيطروا على أغلب مدنه ولم تبق بيدهم سوى العاصمة مراكش^(٢) ، وفي الأندلس قامت الثورات ضدهم في مختلف المدن والأقاليم وشغل المرابطون بالدفاع عن أنفسهم ومكافحة الثورات ، فضلاً عن أن العديد من الثوار كانت لهم علاقات مشبوهة مع النصارى ضد المرابطين^(٣).

عندها شعر النصارى بأن الفرصة سانحة للقضاء على ما تبقى من نفوذ للمسلمين في الثغر الأعلى ، وبخصوص لارده فإن المصادر لم تسعفنا عن مدة بقاء محمد بن عياض فيها حيث تولى الدفاع عنها ضد النصارى مدة من الزمن ، والذهبي أشار إلى أنه بقي إلى حدود سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م^(٤) ، وعن حروبه أشار إلى أن (ابن عياض التقى البرشلوني ، وانتصر المسلمون فلما انفصل المصاف ، قصد

(١) دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٢٦.

(٢) ينظر عن نشاط الموحيدين في المغرب: السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ص٢٨٨ - ٢٩٤.

(٣) ينظر عن الثورات في الأندلس في نهاية عصر المرابطين: دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحيدين، ص٤٧ - ١٠٠.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٦٣/١٥.

المسلمون الماء ليشربوا ، وتجرد ابن عياض من درعه ، ونحو الخمس مائة من الروم في الغابة عند الماء ، فالفت ابن عياض إلى أصحابه أن ارموا الروم بالنبل ، فجاءه سهم في قفار ظهره ، فأخرج منه بعد أن قتل أولئك الخمس مائة ، وإذا بالسهم قد أصاب النخاع ، فوصل مرسية وتوفي بعد ولايته اياها بأربع سنين ، ووجد المسلمون لفقده^(١) ، لكن لم توضح الرواية اين كان اللقاء بين ابن عياض وأمير برشلونة ، هل عند مدينة لاردة لأن ابن عياض كان قائدا فيها منذ معركة أفرغه سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م ، ولعل بعض الغموض يتبدد من خلال استعراض رواية ابن الأبار عن ابن عياض ، إذ ذكر أن عبد الله بن عياض قدم على مروان بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب بلنسية^(٢) سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م فولاه الثغر ، ولما اضطرت الأمور في مرسية استدعاه أهلها فدخلها في جماد الأولى من سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، قال: ثم أن ابن عياض بقي في مرسية حتى وفاته من أثر السهم الذي أصابه في أحد حروبه مع الروم وذلك سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م^(٣).

من روايتي ابن الأبار والذهبي يمكن أن يُفهم أن عبد الله بن

(١) المصدر نفسه.

(٢) تولى حكم بلنسية سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م أواخر أيام المرابطين ثم أخرج عنها سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م وكانت وفاته سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، ينظر: ابن الأبار، الحلة

السيراء، ٢/٢١٨ - ٢٢٦ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) الحلة السيراء، ٢/٢١٩، ٢٢٣٠ - ٢٣١ ؛ ينظر أيضا: ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٣.

عياض بقي في لاردة حتى سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م ، وأن لقاءه مع أمير
برشلونة حين أصابه السهم كان في حدود سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م ،
فيكون من خروجه من لاردة حتى وفاته حوالي أربع سنوات.
وبعد وفاة عبد الله بن عياض آل حكم المنطقة الشرقية من
البلاد الأندلسية إلى محمد بن سعد بن مردنيش بوصية منه^(١) ،
واستطاع ابن مردنيش أن يتغلب على شرق الأندلس بأجمعه من
ثغر طرطوشة حتى مرسية جنوباً^(٢) ، ولكي يحافظ على سلطانه
عمل على مصالحة النصارى على حدوده ، وفي ذلك يقول ابن
الخطيب: (وأجأه الخروج عن الجماعة ، والانفراد بنفسه إلى
الاحتماء بالنصارى ، ومصانعتهم ، والاستعانة بطواغيتهم ، فصالح
صاحب برشلونة لأول أمره على ضريبة ، وصالح ملك قشتالة على
أخرى ، فكان يبذل لهم في السنة خمسين ألف مثقال ، وابتنى
لجيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور ، وأجحف
برعيته لأرزاق من استعان به منهم ، فعظمت في بلاده المغارم
وثقلت...)^(٣) ، وهكذا دخل في صلح مع أمير برشلونة برنجير الرابع
(٥٢٥-٥٥٧هـ/١١٣٠-١١٦١م) وملك قشتالة الفونسو السابع السليطين

(١) المراكشي، المعجب، ص ١٥٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢.

(٢) ينظر عن توسع سلطان ابن مردنيش: ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢ - ٢٣٣ ؛

ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٧٠ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢١٣، ٦/٣١٨ - ٣١٩ ؛

(٣) الإحاطة، ٢/٧٢.

(٥٢٠-٥٥٢هـ/١١٢٦-١١٥٧م) مقابل ضرائب باهضة أرهق بها الرعية^(١).
 وبسبب سياسة ابن مردنيش هذه باتت المنطقة المحصورة بين
 طرطوشة وأفراغة ولاردة منعزلة عن باقي مناطق الأندلس وغدت
 فريسة سهلة بيد أمير برشلونة برنجير الرابع ، إذ لم يستطع كلاً من
 المرابطين والموحدين Los ، Almohades عمل أي شيء تجاهها ،
 بسبب أن المرابطين كانوا آنذاك في النزاع الأخير ، فيما انشغل
 الموحدون في توطيد سلطانهم في المغرب أولاً ، فابتدأ أولاً بطرطوشة
 حيث قاد حملة صليبية بمباركة البابا مكونة فضلاً عن قوات
 برشلونة ، قوات من جنوة وبيزا الايطاليتين وضربت الحصار على
 المدينة ، وصمد أهلها أربعين يوماً أملين أن تردهم إمدادات من
 بلنسية أو غيرها من مناطق الأندلس ولكن دون جدوى ، إذ لم
 يحرك ابن مردنيش الذي تربطه مع أمير برشلونة معاهدة صداقة
 ساكناً ، مما اضطر أهلها إلى التسليم ، بعدها توجهت القوات
 الصليبية إلى لاردة بقيادة صاحب برشلونة ، وكان من الطبيعي أن
 لا تستطيع الصمود بعد سقوط طرطوشة فسقطت هي الأخرى بيد
 النصارى^(٢) ، وحول مسجدها الأعظم إلى كنيسة فضلاً عن مساجد

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ٣٦٧.

(٢) ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق١،
 ص٣٦٩ - ٣٧٠ ؛ دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين،
 ص١١٥ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص١٣٣ - ١٣٤.

المدينة الأخرى^(١).

أما عن تاريخ سقوطها بيد النصارى فذهب ابن غالب وابن الأثير وابن عذاري إلى أنها سقطت سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م^(٢)، فيما ذهب بعض المراجع الحديثة إلى أن سقوطها كان سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م^(٣).

(١) عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص ١١٥.

(٢) فرحة الأنفس، ص ١٧؛ الأندلس من الكامل في التاريخ، ص ٣٦٥؛ البيان

المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠؛ ينظر أيضا: ابن الوردي، تاريخ، ٤٦/٢.

(٣) ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١،

ص ٣٧٠؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص ١٣٤؛ دندش،

الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص ١١٥.

الحركة الفكرية

إن من أهم دواعي الفتح الإسلامي عامة هي نشر الإسلام ، وكان موسى بن نصير على كبر سنه مجاهداً في سبيل الله فقد وصف أنه (كان عاقلاً شجاعاً كريماً تقياً لله تعالى ، ولم يهزم له قطّ جيش^(١)) ، والأندلس كما يقول الحميري آنذاك (دار جهاد وموطن رباط)^(٢) وقد اصطحب معه العديد من العلماء والفقهاء للدعوة والجهاد منهم حنش بن عبد الله الصنعاني^(٣) وعلي بن رباح^(٤) اللخمي وغيرهم ، وقد حرصوا على بناء المساجد في الأماكن التي يروا بها ، فموسى عندما نزل الأندلس عمل أولاً على بناء مسجد عرف بمسجد الرايات^(٥) ، وعندما افتتح المسلمون سرقسطة ومدائنها

(١) المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٤٠.

(٢) الروض المعطار، ص ٣٣.

(٣) هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن نهد بن قنان بن ثعلبة بن عبد الله ابن ثامر السبائي الصنعاني، يكنى أبا رشدين، كان مع علي بن أبي طالب (ع) بالكوفة، وقدم مصر بعد قتل علي (ع)، وغزا المغرب مع رويغ بن ثابت، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير، وتوفي سنة ١٠٠هـ/٧١٨م، ينظر: ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ٢/٦٦ - ٦٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٤) هو علي بن رباح اللخمي أحد التابعين شهد اليرموك ثم ذات الصواري مع عبد الله بن أبي سرح ودخل الأندلس مع موسى بن نصير، وتوفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، ينظر: ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ١/٣٦٠ - ٣٦١؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ٢٤٨ - ٢٥١.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٣؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ١٤٦.

أسس حنش الصنعاني العديد من المساجد منها مسجد سرقسطة^(١).
سرقسطة^(١).

كما كان المسلمون عند دخولهم أي منطقة يدعون أهلها إلى الإسلام أو البقاء على دينهم ودفع الجزية وخيار الحرب آخرًا ، فعندما حاصر المسلمون مدينة وشقة (اتصل ذلك من فعلهم سبعة أعوام ، والنصارى في القصبه القديمة محصورون ، فلما طال عليهم الحصار استأمنوا لأنفسهم وذرايهم ، فمن دخل في الإسلام ملك نفسه وماله وحرمته ، ومن أقام على النصرانية أدى الجزية) ^(٢) ، كما أن المسلمين لم يتعرضوا للكنائس ودور العبادة ، وقد ورد ذلك في معظم معاهدات الصلح ، فمثلا جاء في معاهدة الصلح لأهل تدمير(بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غندرس أنه نزل على الصلح وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع من ملكه ، وإنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم)^(٣).

وتبعاً لهذه السياسة فقد دخل العديد من أهالي البلاد الأصليين

(١) ابن المفضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٣، ٣١٧.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٢.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ١٣٢.

إلى الإسلام وقد أطلق عليهم أول الأمر اسم المسالمة وهي كلمة تعني الذين دخلوا الإسلام من الأسباب وأطلق على أولادهم اسم المولدين^(١) ، ومن دخل الإسلام من أهالي منطقة الثغر الأعلى بنو قسي وقد لعبوا دورا كبيرا في تاريخ لاردة والثغر الأعلى مدة طويلة كما تقدم.

وثمة ميزة مهمة اتصفت بها منطقة الثغر الأعلى جعلها تزخر بالعلماء والفقهاء ورجال الفكر ، وهي أنها منطقة محاذية للنصارى الذين كانوا في أغلب الأوقات في حالة حرب مع المسلمين ، فكان وجود العلماء حافزا للجهاد فضلاً عن أنهم كانوا في مقدمة المجاهدين ، ومن خلال استعراض تراجمهم - كما سيأتي - نجد أن العديد منهم سكنوا المنطقة للجهاد وسقط العديد منهم شهداء في المعارك التي دارت هناك.

وما شجع على نشاط الحركة الفكرية في منطقة الثغر الأعلى أنها منذ وقت مبكر قامت فيها أسر حكمت بشكل مستقل أو شبه مستقل عن الحكومة في قرطبة ، وقد كان لحكامها دور في تشجيع العلماء والأدباء والشعراء ، فكان لهم من القصور والحاشية ومظاهر الترف ما ضاهى قصور وبلاط قرطبة ، فكانت سرقسطة ولاردة ومدائنها قبلة لأصحاب الفكر والأدب طيلة تاريخها الزاهر وفي مختلف الميادين العلمية ، وسنعرض لأهم رجالاتها وإسهاماتهم العلمية:

(١) الحجبي، التاريخ الأندلسي، ص ١٦٣.

١- إبراهيم بن معاذ القاضي ، يكنى أبا إسحاق ، من أهل لاردة ،
لعله تولى القضاء فيها ، وحكى انه وقع نار في داره بلاردة فاحترق
جميع ما فيها منها خزانة عليها فاحترقت بما كان فيها مع
المصحف ، إلا اضبارة بقيت مع المصحف مكتوب فيها: كان
ذلك في الكتاب مسطوراً^(١) ، ولم يشر ابن الأبار إلى تاريخ وفاته.

٢- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن العاصي بن سهل
الأنصاري ، يكنى أبا الحكم ، من أهل لاردة سكن شاطبة ،
محدث روى عن أبي محمد الرشاطي توفي سنة ١١٥٧/٥٥٢م^(٢).

٣- أحمد بن محمد بن هذيل الأنصاري ، يكنى أبا العباس ، ولي
قضاء لاردة أيام المرابطين ، ولم تحمد سيرته لأنه كان يميل إلى
الأدب ، ويبدو أنه انتقل إلى بلنسية بعد سقوط لاردة ، وتولى
خطة المواريث أيام محمد بن سعد بن مردنيش ، ثم ضيق عليه
ونفاه إلى جزيرة شقر حيث توفي سنة ١١٥٥/٥٥٠م^(٣).

٤- زكرياء بن يحيى بن سعيد ، من أهل لاردة ، يُكنى أبا يحيى ،
ويعرف بابن النداف ، محدث كان كثير الترحال في كور
الشعر ، حدث عن محمد بن فطيس^(٤) وغيره^(١) ، وهو من أبناء

(١) ابن الأبار، التكملة، ١١٧/١.

(٢) المصدر نفسه، ٥٩/١.

(٣) المصدر نفسه، ٦٢/١.

(٤) هو محمد بن فطيس بن واصل الغافقي من أهل البيرة، له رحلة إلى المشرق
في طلب العلم توفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، ابن الضري، تاريخ علماء الأندلس،
ص ٣٢٤-٣٢٥.

القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي لأنه روى عن محمد بن فطيس المتوفى سنة ٣١٩هـ/٩٣١م.

٥- سعيد بن مذكور، من أهل وشقة سكن لاردة، كان من أهل العلم والذكاء حافظا للمسائل، توفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م^(٢).

٦- سليمان بن حسين بن يوسف الأنصاري، يكنى أبا مروان، من أهل لاردة ومن قرية لها تدعى شية، ولي قضاء لاردة، ورحل إلى قرطبة طالبا للعلم ولقي أبا عبد الله بن عتاب^(٣) وأبا الوليد الباجي^(٤) وغيرهم، توفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م^(٥).

٧- سيدة بنت عبد الغني بن علي بن عثمان العبدري، تكنى أم العلاء، أصلها من لاردة وسكنت غرناطة Granada، كان أبوها قاضيا بأوريولة Orihuela ونشأت يتيمة، وتعلمت القرآن وبرعت فيه، كانت لها رحلة إلى فاس ثم إلى تونس وتوفيت

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٢٩.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٤١.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن، من أهل قرطبة وممن أشتهر بالفتوى، روى عن خلف بن يحيى بن غيث وأبي المطرف القنازعي وغيرهم، كان فقيها عالما ورعا بصيرا بالحديث وعالما بالوثائق وعلما، ومدار الفتوى في وقته توفي سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، ابن بشكوال، الصلاة، ص ٤٢٧ - ٤٢٩.

(٤) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي فقيه وحدث ومتكلم له رحلة إلى المشرق حيث أقام هناك ثلاثة عشر ثم رجع إلى الأندلس وكان له دور في الدعوة إلى التوحيد أيام دويلات الطوائف، توفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، الضبي، بغية الملتبس، ص ٢٨٠ - ٢٨١؛ الحجري، التاريخ الأندلسي، ص ٣٣٦ - ٣٤٤.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٨٩/٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٦/٣٥.

هناك سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م^(١).

٨- عبد الجبار بن المفرج بن عبد الله الأنصاري المؤذن ، يكنى
أبا محمد ، من أهل لاردة ، كان شيخا صالحا ، استوطن
مرسية وتوفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٤م^(٢).

٩- عبد الرؤوف بن عمر بن عبد العزيز من أهل سرقسطة سكن
لاردة ، كان ذا علم وفضل وسماع ، وتوفي فيها سنة
٣٠٨هـ / ٩٢٠م^(٣).

١٠- عبد الله بن هارون الأصبحي ، من أهل لاردة ، يكنى أبا
محمد ، فقيه أديب شاعر زاهد متصاون من أهل العلم ، ومن
شعره:

كم من أخ قد كنت أحسب شهده

حتى بلوت المر من أخلاقه

كالمح يحسب سكرًا في لونه

ومجسه ويحول عند مذاقه^(٤)

ولعله من أبناء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

(١) ابن الأبار، التكملة، ٤/٢٦٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧/٣٦١.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٣/١٠٣.

(٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٣٧؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣٩٩.

(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٦٦؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٦٥؛ الضبي،

بغية الملتبس، ص ٣٢٥؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/٤٥٩.

- لأنه معاصر للحميدي المتوفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م.
- ١١- عبد الله بن يحيى من أهل وشقة سكن لاردة ، كانت له رحلة ، واختص بالسلطان ثم لزم الجهاد وكان من الأبطال إلى أن توفي^(١) ، ولم يشر ابن الفرضي إلى تاريخ وفاته.
- ١٢- عبد الملك بن نمير الفارسي محدث من أهل لاردة تولى الصلاة في جامعها واشتهر بالفقه والفتا وتوفي في حدود سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م^(٢).
- ١٣- عتيق بن محمد بن عتيق بن عطف الأنصاري يعرف بابن المؤذن ، أصله من لاردة ، سكن بلنسية ، كان محدثاً فقيها حافظاً للمسائل عارفا بالعربية ، توفي ببلنسية سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م^(٣).
- ١٤- علي بن عبد الله بن محمد التجيبي ، يكنى أبا عبد الله ، من أهل لاردة ، له كتاب يعرف: كشف جمل من التعطيل فحجج من الأثر والنظر والتنزيل ، رد به على رجل جاء من المشرق كان يتكلم بخلق القرآن ، كان حيا في سنة ٥٥٠هـ/١١٠٦م^(٤).
- ١٥- عيسى بن عبد الرحمن بن عيسى بن أصبغ بن هشام ، يكنى أبا الأصبغ ، ويعرف بابن كراديس ، محدث من أهل لاردة ، كان أديباً حافظاً وله كتاب في شرح قصيدة أبي مروان

(١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣٨٢.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢٢/٤.

(٤) ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ص ٢٧٧.

الجزيري في السنة والحكم والوصايا والأمثال ، توفي بعد سنة
١٠٤٨هـ/١٠٤٨م^(١).

١٦- مالك بن معروف ، من أهل لاردة ، يكنى أبا عبد الله ،
محدث روى عن عبد الملك بن حبيب ، توفي سنة
٢٦٤هـ/٨٧٧م^(٢).

١٥- محمد بن أحمد بن عمار بن محمد التجيبي اللاردي ،
يكنى أبا عبد الله ، وأبا بكر ، إمام مقرئ عالم ، رحل إلى
بلنسية وله ثماني عشرة سنة ، فقرأ على أبي داود الداني سنة
٤٩٥هـ/١١٠١م القراءات وجامع البيان وأكثر مؤلفات الداني ،
تصدر الإقراء ببلده لاردة ثم نزل مرسية فأقرأ بها ، صنف كتابا
في معاني القراءات ، توفي سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م^(٣).

١٦- محمد بن أسلم اللاردي من أهل لاردة ، يكنى أبا عبد الله ،
محدث روى عن يونس بن عبد الأعلى ، توفي سنة
٢٩٥هـ/٩٠٧م^(٤).

(١) ابن الأبار، التكملة، ٨/٤ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر
الخامس، ٥٠٠/٢.

(٢) ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ص٢/١٨٣ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٤٧ ؛
الضبي، بغية الملتبس، ص٤٦٤.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٣٤٣/١ - ٣٤٤ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦٧/٢ ؛ ابن
الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٧٦/٢

(٤) ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ١٩٢/٢ ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس،
ص٣٠٨ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٤ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص٦١
وقال الحميدي والضبي أن وفاته كانت سنة ٥٣٠٣هـ / ٩١٥م.

١٧- محمد بن الحسن بن علي بن يوسف الخولاني البلغي نسبة إلى بلغي أحد نواحي مدينة لاردة ، محدث له رحلة إلى المشرق زار خلالها الشام ودخل دمشق ، وكان رجلا صالحا ، توفي بالمرية سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م^(١).

١٨- محمد بن عتيق بن عطف الأنصاري ، يكنى أبا عبد الله ، من أهل لاردة ، سكن بلنسية ، كان عارفا بالفقه حافظا للرأي مقدما بالفتيا ، توفي سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م^(٢).

١٩- محمد بن عيسى بن محمد بن بقاء الأنصاري الأندلسي الثغري البلغي المقرئ ، يكنى أبا عبد الله ، من أهل بلغي أحد نواحي لاردة ، كان حافظا للقرآن مجودا ، له رحلة إلى المشرق زار خلالها دمشق ، أخذ القراءات السبعة عن شيخه أبي داود سليمان بن أبي القاسم نجاح الأموي الأندلسي البلنسي^(٣) ،

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٤٢؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣١١/٥٢ - ٣١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٣/٣٥.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٥٢/٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٦٩/٤٠.

(٣) هو أبو داود سليمان بن أبي القاسم نجاح الأموي مولى الخليفة هشام المؤيد، سكن بلنسية، كان من جلة المقرئين وعلمائهم وفضلائهم وخيارهم، عالماً بالقراءات ورواياتها وطرقها حسن الضبط لها، وكان ديناً فاضلاً ثقة فيما رواه، وله تواليف كثيرة في معاني القرآن وغيره، وكان حسن الخط جيد الضبط روى الناس عنه كثيراً، توفي سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٠٠.

وتوفي في دمشق سنة ٥١٢هـ/١١١٨م^(١).

٢٠- محمد بن يحيى بن سعيد الأنصاري ، يكنى أبا عبد الله ،
من أهل لاردة ، كان أديبا ، لقي أبا بكر الجزار السرقسطي^(٢)
وأُشِد له:

عجبت لذري وجع مؤلم يسوم الطَّيِّب ويكدي عَلَيْهِ
يضن عَلَيْهِ بديناره وَيَجْعَل مهجته فِي يَدَيْهِ
توفي ببلنسية سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م^(٣).

٢١- محمد بن يوسف بن فيرة الجذامي ، يكنى أبا عبد الله ،
من أهل لاردة ، سكن أوريولة ، محدث روى عن أبي يوسف
محمد بن عقال الشنتمري^(٤) ، كان حيا سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م^(٥) .
٢٢- يحيى بن سعيد المعروف بابن النداف ، من أهل لاردة ،

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٧٠٠٦٩/٥٥؛ ابن الأبار، التكملة، ٣٣٦/١ - ٣٣٧ ؛
(٢) قال ابن سعيد يحيى الجزار السرقسطي كان يبيع اللحم فتعلقت نفسه
بقول الشعر فبرع فيه ومدح الملوك من بني هود، ثم ترك الشعر ورجع إلى
القصابة، المغرب، ٤٤٤/٢ - ٤٤٥ .

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢٥/٢ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عقال المقرئ من أهل سرقسطة، سمع من أبي
الوليد الباجي والعدري، وله رحلة إلى الحج لقي فيها الفضيل بن عياض،
وهو من أبناء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ينظر: ابن
الأبار، التكملة، ٣٤٥/١ .

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٣٤٩/١ .

كان محدث وواعظ ، روى عن سعيد بن سعيد بن كثير^(١) ، ولم يشر ابن الأبار إلى تاريخ وفاته ، ولعله من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لأنه يروي عن سعيد بن سعيد المتوفى سنة ٥٤٦هـ/١٠١٥م.

٢٢- يحيى بن سليمان بن حسين بن يوسف الأنصاري ، يكنى أبا الوليد ، من أهل لاردة من قرية لها تدعى شية ، محدث وفقهه ولي قضاء لاردة ، ثم غادرها بعد ما دخلها النصارى ، وسكن بلنسية ، وتوفي سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م^(٢).

٢٤- يحيى بن محمد الأموي ، يكنى أبا الوليد ، ويعرف بابن قبرون ، من أهل لاردة وسكن شاطبة ، ولي قضاء شاطبة ثم استعفى ، كان خيرا فاضلا ، استشهد مجاهدا في الثغر سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م^(٣).

٢٥- يحيى بن محمد اللبائي نسبة إلى قرية من نظر لاردة ، يكنى أبا بكر ، كان ماهرا في صناعة العريية ، حافظا للآداب واللغات ، وتوفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م^(٤).

(١) هو أبو عثمان سعيد بن سعيد بن كثير المرادي كان عالما زاهداً له رحلة إلى المشرق، وتوفي سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٤١.

(٢) ابن الأبار، معجم أصحاب القاضى أبي علي الصديقي، ص٣١٢.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٤/١٦٧؛ معجم أصحاب القاضى أبي علي الصديقي، ص٣٠٩.

(٤) المصدر نفسه ، ٤/١٦٨.

٢٦- يوسف بن إبراهيم بن عثمان العبدي ، يكنى أبا الحجاج ، أصله من بلدة بلغي من ثغر لاردة ، سكن غرناطة ثم خرج من موطنه أيام الفتنة واستوطن في نواحي مرسية ، كان عالماً بالقراءات وفقهياً وحافظاً ومحدثاً وتولى الخطبة والصلاة بجامعها ويقرئ القرآن ، وكانت وفاته سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م^(١) .

٢٧- يونس بن أيوب بن بسام ، يكنى أبا الوليد ، من أهل لاردة ، أخذ القراءات عن أبي محمد بن سعدون الضرير^(٢) وسمع الحديث من أبي علي بن بسيل^(٣) ، ولم يذكر ابن الأبار سنة وفاته^(٤) ، وهو من أبناء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي لأنه روى عن مشايخ هذا القرن.

(١) الضبي، بغية الملتبس، ص ٤٨٨ ؛ ابن الأبار، التكملة، ٢١٤/٤ - ٢١٥ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن سعدون بن مجيب بن سعدون بن حسان التميمي الضرير، من أهل وشقة وسكن بلنسية، أخذ القراءات عن أبي المطرف بن الوراق وأبي جعفر عبد الوهاب بن حكم الوقشي، كان عالماً بالقراءات مشاركاً في العربية توفي قبل سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، ابن الأبار، التكملة، ٢٥٧/٢ .

(٣) هو أبو علي الحسين بن أحمد بن الحسين بن بسيل العبدي من أهل مريبطر تولى قضاء بلده وتوفي سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م، ابن الأبار، التكملة، ٢٢١/١ .

(٤) التكملة، ٢٢٩/٤ .

الخاتمة

تقع مدينة لاردة في المنطقة الشمالية الشرقية من الثغر الأعلى الأندلسي وعلى أحد روافد نهر إيره ، وهي تتوسط مدن الثغر الأعلى ففي شمالها الغربي تقع مدينتي تطيلة ووشقة ، وفي جنوبها الغربي تقع مدينة سرقسطة وإلى الشرق منها طرطوشة ، ومواردها متنوعة ، ففيها الزراعة والأشجار ، وفيها المعادن وخاصة الذهب ، وتكثر فيها الحصون ، وهي نفسها محصنة مما ساعدها على الصمود في وجه النصارى حتى بعد سقوط بعض المناطق إلى الجنوب منها. فتحها المسلمون سنة ٧١٢هـ/٧١٢م واستوطنها العرب وقليل من البربر ، وأسلم العديد من سكانها الأصليين مما جعلهم يحتلون مركز الصدارة في إدارتها فيما بعد ، وبسبب موقعها الثغري وبعدها عن قرطبة ، لذا قامت فيها أسر من العرب والمولدين تناوبت على حكمها ، فقد حكمها بنو تميم ثم بنو قسي وبنو الطويل ، وعادت بعد ذلك إلى بني تميم في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي واستمر نفوذهم فيها حتى الربع الأول من القرن الخامس الهجري ، لتنتقل بعد ذلك إلى حكم بني هود حتى الفتح المرابطي

لها في بداية القرن السادس الهجري ، وبعد ثلاثة عقود سقطت بيد أمير برشلونة سنة ١١٤٨/٥٥٤٣م.

دام حكم المسلمين لها حوالي أربعة قرون ونصف ، ومن أهم مظاهر تاريخها خلال تلك الحقبة هو العلاقات المتوترة بينها وبين حكومة قرطبة ، والثانية علاقاتها مع الدويلات النصرانية المجاورة لها على حدودها الشمالية والتي تأرجحت بين المد والجزر ، وثالثا أنها أصبحت قبلة العلماء الذين قصدوها للرباط والجهاد فأسهموا في تقدمها العلمي والحضاري.

مصادر ومراجع مدينة لاردة

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)
- ١- التكملة لكتاب الصلاة، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م
 - ٢- الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.
 - ٣- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ط١، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٠٠٠م.
 - ٤- الأندلس من الكامل في التاريخ، جمع وتحقيق جاسم ياسين الدرويش، دار تموز، دمشق، ٢٠١٥م.
 - الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسيني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
 - ٥- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م. أرسلان، شكيب
 - ٦- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٣٦م.
 - الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)
 - ٧- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م.

أشباح: يوسف

- ٨- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٤١م.
اينهارد (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)
- ٩- سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٩م.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)
- ١٠- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)
- ١١- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط٢، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
- ١٢- المسالك والممالك، دار الغرب العربي، ١٩٩٢م.
- بنيامين بن يونه التطيلي (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)
- ١٣- رحلة بنيامين، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)
- ١٤- غاية النهاية في طبقات القراء، نشر برجسترانس، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.
- حاتمة، محمد عبده
- ١٥- ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦م.
- ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)
- ١٦- كتاب التاريخ، وضع حواشيه سائم مصطفى البدري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الحجي، عبد الرحمن علي.

- ١٧- التاريخ الأندلسي، ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ١٨ - جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٩- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ٢٠- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، منشورات الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ٧١٠هـ / ١٣١٠م)
- ٢١- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلية (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ٢٢- صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)
- ٢٣- المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للقبلة ١٨٠ - ٢٣٢هـ / ٧٩٦ - ٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض ٢٠٠٣م.
- ٢٤- المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للقبلة ٢٣٢ - ٢٦٧هـ / ٨٤٦ - ٨٨٠م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
- ٢٥- المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للقبلة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- ٢٦- المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للقبلة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م)، تحقيق ب. شاميتا بالتعاون مع كورنيطي و م. صبح، منشورات

- المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ٢٧- المقتبس من أبناء أهل الأندلس (للقبة ٣٦٠ - ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ -
 ١٩٧٤م)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
 ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)
- ٢٨- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا وخافينتو
 بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي،
 مدريد ١٩٩٠م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ/
 ١٣٧٤م).
- ٢٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٣٠- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى
 بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق إي- ليفي بروفنسال، دار
 المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- ٣١- التحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد
 القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.
- الخفاجي، كاظم عبد نتيش
- ٣٢- التشيع في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة
 (٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١٠- ١٤٩١م، ط١، مؤسسة الراشد، بغداد، ٢٠١٢م.)
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
- ٣٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
 عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
- ٤١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ط٧، دار
 صادر، بيروت، ١٩٩٤م.

دندش، عصمت عبد اللطيف

٣٥- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٥٤٨هـ/١٣٤٧م)

٣٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣٧- سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

الرشاطي، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

٣٨- الأندلس من اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو مولينا و خافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)

٣٩- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت كان حيا سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م)
٤٠- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٢م.

- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٤١- الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

سالم، عبد العزيز.

٤٢- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مكتبة الانجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦م.

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.

- ٤٣- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
- ٤٤- تاريخ المغرب العربي، جامعة الموصل، ١٩٨٨م.
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت: ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
- ٤٥- الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، مطبعة المكتب التجاري، بيروت ١٩٧٠م.
- ٤٦- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ١، ١٩٥٣م، ج ٢، ١٩٥٥م.
- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه
السلفي الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)
- ٤٧- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣ م.
- السلوي، أحمد بن خالد الناصري (ت ٣١٥هـ/ ١٨٩٧م)
- ٤٨- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي
(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)
- ٤٩- الواج بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠٠م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)
- ٥٠- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- طه، عبد الواحد ذنون.
- ٥١- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح

٥٢- أوروبا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط٩، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

عبد الباقي، محمد فؤاد

٥٣- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)

٥٤- فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)

٥٥- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس،

ط١، بيروت، ١٩٧٣م

ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م)

٥٦- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س.

كولان وإ- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م، ج١، ج٢.

ج٣، تحقيق إ- ليفي بروفنسال، بيروت، د.ت. ج٤ تحقيق إحسان

عباس، بيروت، ١٩٦٧م، وقسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني

ومحمد تاويت وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)

٥٧- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار

والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد

العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت

١١٧٥/٥٥٧١م)

٥٨- تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن عرام العمري، دار الفكر، بيروت،

١٩٩٥م.

العلياوي، حسين جبار مجيتل

- ٥٩- البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١١م.
- ٦٠- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين (٩٦-٥٤١هـ / ٧٤١-١١٤٦م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.
- عنان، محمد عبد الله
- ٦١- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٦٢- دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البنسي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٦٣- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد الوهاب، نشر مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٣٥٦هـ.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
- ٦٤- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويضي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن القاسم، إسماعيل بن إبراهيم (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م)
- ٦٥- مخطوط تاريخ الأندلس نشر أنور زناطي، مصر، د. ت.
- ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)
- ٦٦- الإمامة والسياسة (منسوب)، تحقيق علي شيري، بيروت ١٩٩٠م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
- ٦٧- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.

- ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد الكتاني (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)
- ٦٨- نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان، المغرب، ١٩٦٥م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
- ٦٩- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ٧٠- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- كراتشوفسكي، أغناطيوس يولييانوفتش
- ٧١- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٧٢- تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ١٩٧١م.
- لودر، دروثي
- ٧٣- أسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- مجهول، مؤلف (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).
- ٧٤- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م).
- ٧٥- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بويابة، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م؛ وتحقيق لويس مولينا تحت عنوان ذكر بلاد الأندلس، مدريد، ١٩٨٣م.
- مجهول، مؤلف (ت بعد سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م)
- ٧٦- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمه عن الفارسية السيد

- يوسف الهادي، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٤٢٣ هـ .
- مجهول، مؤلف (آخر خبره في القرن السادس الهجري/الثاني عشر
الميلادي)
- ٧٧- فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث
العلمية، الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٤ م.
- المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (ت ١٢٤٧هـ/١٢٤٩م)
- ٧٨- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران
المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥ م.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٣٨٧هـ / ٩٩٧م).
- ٧٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع هوامشه محمد مخزوم،
بيروت، ١٩٨٧ م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)
- ٨٠- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار
صادر، بيروت، ١٩٩٧ م.
- مؤنس، حسين.
- ٨١- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى
قيام الدولة الأموية ٩٢- ١٣٨هـ/٧١٠- ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٨٢- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (أفريقية والمغرب-
الأندلس- صقلية واقريطش ٢٧- ٧١٩هـ/٦٤٧- ١٣١٩م)، من كتاب
نهاية الإرب في فتون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار
النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- هنتس، فالتر
- ٨٣- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادتها في النظام المتري، ترجمة
كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠ م.

- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد الكندي (١٣٤٨هـ / ٧٤٩هـ) (١٣٤٨م)
- ٨٤- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٨٥- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.
- ٨٦- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- اليقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)
- ٨٧- البلدان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ابن يونس، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م)
- ٨٨- تاريخ ابن يونس المصري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

مدينة بياسة الاندلسية

٩٢ - ٥٦٢٣ / ٧١١ - ١٢٢٦ م

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة بيّاسة (Baeze)

تقع مدينة بيّاسة حالياً ضمن المركز الإداري لمديرية جيّان (Jaen) وتبعد ٤٠ كم شمالي شرقي عاصمة المديرية^(١)، وهي كذلك في المصادر الإسلامية، إذ أشاروا إلى أن بيّاسة من أعمال كورة جيّان^{(٢)(٣)} التي تتوسط الأندلس بين غرناطة (Garnada)^(٤) وطليلة (Toledo)^(٥)

- (١) ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢ / ٢٥٣ هامش (٢).
- (٢) جيّان؛ وصفها ياقوت بالقول: (بالفتح ثم التشديد، وآخره نون: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة) الأندلس من معجم البلدان، ص ١١٥ - ١١٦ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢ / ٢٦٨.
- (٣) البكري، المسالك والممالك، ٢ / ٨٩٣ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢ / ٥٦٨ ؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص ١٥ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٩٤ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٢ / ٤٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص ٩١ ؛ المقرئ، نفع الطيب، ٣ / ٢١٧.
- (٤) غرناطة وهي إحدى مدن كورة البيرة وصفها ابن الخطيب بقوله: " من أعظم مدنها وأقدمها، عندما انقلبت العمارة إليها من البيرة، ودارت أفلاك البلاد الأندلسية، فهي في وقتنا هذا قاعدة الدنيا، وقرارة العليا، وحاضرة السلطان، وقبة العدل والإحسان. لا يعد لها في داخلها ولا خارجها بلد من البلدان، ولا يضاهاها في اتساع عمارتها، وطيب قرارتها، وطناً من الأوطان. ولا يأتي على حصر أوصاف جماتها، وعد أصناف جلالها، قلم البيان " الإحاطة، ١ / ١٤ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٤ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٧.
- (٥) طليلة، قال الحميري: " هي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضاً، ومنها إلى المريّة في البحر =

ومرسية (Murcia)^(١)، إلا إن المقدسي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) أشار أن
بياسة إقليم تابع لقرطبة (Cordoba) ثم أضاف إلى أن الإقليم عند أهل
الأندلس يقابل الرستاق عند أهل المشرق^(٢)، ويمر بمدينة بياسة نهر
الوادي الكبير (Rio Guadalquivir)^(٣) وهو واحد من أهم أنهار
الأندلس^(٤)، الذي ينحدر من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي،
وينبع من جبال شقورة (Segura)^(٥) مما يلي بلنسية

-
- =الشامي تسع مراحل أيضاً. وطليلة عظيمة القطر كثيرة البشر، وهي
كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق " الروض المعطار، ص ٣٩٣؛ ينظر
أيضاً: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١٩٣ - ١٩٦ .
- (١) مرسية قال الحميري: "هي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم،
واتخذت دار العمال وقرار القواد " الروض المعطار، ص ٥٣٩؛ ينظر أيضاً:
الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٩/٢؛ ابن غالب فرحة الأنفس، ص ١٦ .
- (٢) ابن سعيد، المغرب، ٤٩/٢ .
- (٣) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٥؛ وأشار إلى ذلك ياقوت أيضاً إذ قال: "... لأهل
الأندلس خاصة، فإنهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمياً، وربما لا يعرف
هذا الاصطلاح إلا خواصهم... فإذا قال الأندلسي: أنا من إقليم كذا، فإنه يعني
بلدة، أو رستاقاً بعينه " الأندلس من معجم البلدان، ص ١٨
- (٤) ويسمى أيضاً نهر قرطبة ونهر بيطي، ينظر: الزهري، الجغرافية، ص ٨٦؛
الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية)
ص ٤٦ .
- (٥) حتاملة، أيبيريا، ص ٨٠ .
- (٦) شقورة، قال الإدريسي: " حصن شقورة كالمدينة عامر بأهله وهو في رأس
جبل عظيم متصل منيع الجهة حسن البنية ويخرج من أسفله نهران
أحدهما نهر قرطبة المسمى بالنهر الكبير والثاني هو النهر الأبيض الذي
يمر بمرسية " نزهة المشتاق، ٥٦٠/٢ - ٥٦١؛ ينظر أيضاً: ياقوت، الأندلس
من معجم البلدان، ص ١٦٣؛ ابن سعيد، الجغرافية، ص ٩٨ .

(Valencia)^(١) ثم ينحدر فيمر بالقرب من مدينة أبدة (Ubeda)^(٢) ثم جنوب مدينة يّاسة وعندها يقل انحداره حيث يسير في أرض سهلة بعدها يمر بمدينة قرطبة ثم يواصل جريانه إلى إشبيلية (Sevilla)^(٣) ثم إلى قادس (Cadiz)^(٤) حيث يصب في بحر الظلمات^(٥).

(١) بلنسية، قال الحميري: " مدينة في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس " الروض المعطار، ص ٩٧ ؛ ينظر أيضاً: العذري، ترصيع الإخبار، ص ١٧- ١٨ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٦ .
(٢) أبدة، قال ياقوت: " اسم مدينة بالأندلس من كورة جيّان، تعرف بأبدة العرب، اختطّها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك " الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٢- ٢٣ ؛ ينظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢ .

(٣) إشبيلية، قال الحميري: "مدينة بالأندلس جلييلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني إن أصل تسميتها أشبالي معناه المدينة المنبسطة " الروض المعطار، ص ٥٨ ؛ ينظر أيضاً: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٣- ٢٤ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٢٧٠- ٣٧١ .

(٤) قادس، قال ياقوت: " جزيرة في غربي الأندلس تقارب أعمال شدّونة، طولها اثنا عشر ميلاً، قريبة من البرّ بينها وبين البرّ الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البرّ " الأندلس من معجم البلدان، ص ٢٠٧ ؛ ينظر أيضاً: الزهري، الجغرافية، ص ٩٢ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥ .

(٥) ينظر التفاصيل عن مجرى نهر الوادي الكبير والمدن الواقعة عليه من منبعه حتى مصبه: الزهري، الجغرافية، ص ٩٧- ١٠٠ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦١/٢ ؛ المراكشي، المعجب، ٢٦٩ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص ٤٦- ٤٧ ؛ حتاملة، أيبيريا، ص ٨٠- ٨٣ ؛ وبحر الظلمات أسماء ياقوت البحر المحيط، الأندلس من معجم البلدان، ص ٦٥ .

أما المسافات بينها وبين ما جاورها من البلدان ، فبين بياسة وأبدة خمسة أميال^(١) ، وبينها وبين جيّان عشرون ميلاً^(٢) ، وذكر الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) أن (بياسة تظهر من جيّان وجيّان تظهر من بياسة وبياسة على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة...) ^(٣) ، وبين جيّان وقرطبة خمسون ميلاً^(٤) ، ومن جيّان إلى غرناطة مرحلتان ^(٥) ، ومن جيّان إلى البحر الرومي (المتوسط) ثلاث مراحل ^(٦) .

وعن تأسيسها ، فذكر مؤلف مجهول (ت في حدود ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) أن بياسة (مدينة أزلية من بنيان الأول إلا أنها متوسطة القدر) ^(٧) ، وهذا يعني أنها كانت موجودة قبل الإسلام ، إذ أن الجغرافيين المسلمين يسمون المدينة التي كانت موجودة قبل

-
- (١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص ٩١ ؛ والميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، الموازين والمكاييل الإسلامية، ص ٩٥.
 - (٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٦٨/٢ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ ؛
 - (٣) نزهة المشتاق، ٥٦٨/٢ - ٥٦٩ ؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١.
 - (٤) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٥.
 - (٥) المراكشي، المعجب، ٢٦٩ ؛ والمرحلة تعادل أربعة وعشرين يوماً أي ما يعادل ٣٧ كم ونصف، وفي حالة السير السريع ٤٦ كم، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٩٧٣/٢.
 - (٦) المراكشي، المعجب، ص ٢٦٩.
 - (٧) تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص ٩١.

الإسلام بالقديمة أو الأزلية أما التي أنشأها المسلمون بالحدثة. ومن الناحية الاقتصادية يعد حوض نهر الوادي الكبير في الأندلس من المناطق المهمة فيها ، إذ على ضفافه قامت أشهر المراكز الحضارية مثل شقورة وأبدة وبياسة وجيان وقرطبة وإشبيلية وقادس ، وقد وصف المقري (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) جانباً من النشاط الاقتصادي له بقوله: "...وليس في الأرض أتم حسناً من هذا النهر ، يضاهي دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الأطيوار ، أربعة وعشرين ميلاً ، ويتعاطى الناس السرج من جانبه عشرة فراسخ في عمارة متصلة ومنارات مرتفعة وأبراج مشيدة ، وفيه من أنواع السمك ما لا يحصى... " (١) ، وبالنسبة لبياسة فقد احتل النشاط الزراعي فيها المرتبة الأولى ، فأشار المقدسي إلى أن أهالي بياسة " بناؤهم طين ، وشربهم من أعين ، كثيرة التين والكرامات " (٢) ، وامتدح ابن غالب (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) طيب أرضها وزراعتها بقوله: " وهي مدينة عظيمة طيبة الأرض كثيرة الزرع والأشجار والكرم ، وفيها من الزعفران (٣) الذي

(١) نفع الطيب، ٢٠٨/١.

(٢) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٥.

(٣) الزعفران نبات عشبي معمر يعطي أزهار ذات رائحة عطرية، يُستعمل في صنع العطور والأدوية، ينظر عنه: ابن سيده، المخصص، ٢٧٤/٣؛ الملك الأشرف، المعتمد في الأدوية المفردة، ٢٥٦/١؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٤٣/١١ - ٢٤٧.

لا مثيل له"^(١) ، ووصفها الإدريسي بقوله: "وهي مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات ومستغلات الزعفران بها كثيرة"^(٢) ، ونوه ابن سعيد(ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) بخصوصية أرضها " طيبة الأرض كثيرة الأشجار والزعفران يحمل إلى الآفاق"^(٣) وذكرها مؤلف مجهول مع أبدة قائلاً: " جناتهما متصلة بعضها ببعض ، ومحارثهما ومراعيهما كذلك ، وبها - أي بياسة - من الزيتون كثير"^(٤) ، وعدّ المقري أن ما ينتج من زعفران في بياسة هو أحد مفاخر أهل الأندلس وفضائلها ، إذ قال: "وما يعد في مفاخرها ما بياسة إحدى بلاد أعمالها من الزعفران الذي يسفر براً وبحراً"^(٥) ، وقال أيضاً: كل الطيب يُحمل من أرض الهند إلا الزعفران فإنه يُحمل من الأندلس^(٦) ، ومن الأوصاف أعلاه يتبين أن مدينة بياسة اشتهرت بالإنتاج الزراعي لاسيما الفواكه والحبوب والنباتات العطرية وفي مقدمتها الزعفران الذي كان يُصدر إلى خارج الأندلس لأهميته في صناعة العطور والأدوية ، وقد ساعدت وفرة المياه فيها وخصوبة أرضها على ذلك.

(١) فرحة الأندلس، ص ١٥،

(٢) نزهة المشتاق، ٥٦٩/٢ ؛ ينظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١.

(٣) المغرب، ٧١/٢.

(٤) تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية) ص ٩١.

(٥) نضج الطيب، ٢١٧/٣.

(٦) المصدر نفسه ، ١٤٤/١.

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة بياسة

لم تشر المصادر التي بين أيدينا بشكل مباشر إلى تاريخ فتح المسلمين لها ، ولعل ذلك يعود إلى أنها مدينة تابعة إلى كورة جيّان ، فضلاً عن أن قربها من قرطبة جعلها تتأثر بما يجري بها من أحداث ، فالمصادر تشير إلى أن طارق بن زياد^(١) بعد هزيمته للملك القوط لذريق^(٢) في معركة وادي لكّة (Rio Guadalete) في شوال من سنة ٥٩٢هـ / ٧١١م^(٣) اتجه إلى إشبيلية فتم له فتحها ثم توجه إلى مدينة إستجة (Ecija) التي تجمع فيها قسم من الجيش القوطي ،

(١) أجمل ابن عذارى نسب طارق بالقول: "وقد اختلف في نسبه؛ فالأكثر على أنه بريري من نفزة، وأنه مولى لموسى بن نصير، من سبى البربر. وقال آخرون إنه فارسي. قال صالح بن أبي صالح: هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهون بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفاو، وكانهم أيضا اتفقوا على أن طارقاً كان عاملاً لموسى، قبل محاولة الأندلس"، البيان المغرب، ٥/٢؛ ينظر أيضاً: الحميدي، جنوة المقتبس، ص ٢١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤١٨/٢٤ - ٤٢٠؛ شلبي، حياة طارق بن زياد فاتح الأندلس، ص ٥١ - ٥٦؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٢٩.

(٢) ذكر عبد الملك بن حبيب أن لذريق من أصبهان، وأصبهان تسمى بالأندلس إشبان وهم القوطيون ملوك عجم الأندلس، كتاب التاريخ، ص ١٢٤؛ وهو ملك أسبانيا عند الفتح الإسلامي، ينظر عنه: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٣٣؛ مؤنس، فتح الأندلس، ص ٢٩ - ٣٣.

(٣) لكّة مدينة بالأندلس من كورة شنونة وعلى نهرا التقى لذريق بمن معه وطارق بن زياد بمن معه من المسلمين سنة ٥٩٢هـ / ٧١٠م. الحميري، الروض المعطار، ص ٥١١.

ويعد هزيمتهم قرر الزحف مباشرة إلى طليطلة عاصمة القوط ، وقبل أن يشرع بذلك ، أرسل فرقةً من جيشه لفتح بعض المناطق التي تجمع فيها القوط ، وهي قرطبة وإلبيرة (Elvira) ومالقة (Malaga) وتدمير (Tudmir)^(١) ، وكان الجيش الذي توجه إلى قرطبة بقيادة مغيث الرومي مولى الخليفة عبد الملك بن مروان فلما وصلوها "انتقل عنها عظماء أهلها ولم يبق فيها إلا بطريقها في أربعمائة فارس مع ضعفاء أهلها"^(٢) ، وتمكن الجيش الذي مضى إلى إلبيرة من فتح قاعدتها غرناطة ، وفعلوا مثل ذلك في مالقة وتدمير التي فتحت صلحاً^(٣) ، وأشار صاحب كتاب أخبار مجموعة أنه لما فتح الله على المسلمين "قذف الله الرعب في قلوب العلوج لما رأوه اقتحم في البلد... فهربوا إلى طليطلة وغلقوا مدائن الأندلس"^(٤).

أما كورة جيّان الواقعة إلى الشرق من قرطبة والتي يمر بها

(١) ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس (تحقيق مولينا)، ص ٢٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٨/١ - ١٩؛ يرى مؤنس أن مناطق إلبيرة ومالقة ومرسية (أي شرق الأندلس) فتحت على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير، ولكنه يستدرك قائلاً: ولا يستبعد أن يكون طارقاً قد أرسل سرايا صغيرة إلى هذه النواحي، فجر الأندلس، ص ١٣٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠/٢؛

(٣) ينظر عن هذه الفتوحات: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩ - ٢٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١١/٢؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص ١٤٥؛ المقري، نضح الطيب، ١/٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) مؤلف مجهول، ص ١٩.

الطريق الروماني القديم^(١) ، فقد سلكه طارق بن زياد إلى طليطلة ، فذكر الرازي أن طارق بعد بعثه بعضاً من جيوشه إلى مناطق شرق الأندلس "سار هو في معظم الناس إلى كورة جيّان يريد طليطلة"^(٢) ، وهذا يعني أن كورة جيّان وتوابعها (منها مدينة بيّاسة) قد فتحت على يد طارق بن زياد وهو في طريقه إلى طليطلة.

أما عن تاريخ فتحها فيمكن القول إن ذلك كان في أواخر سنة ٧١١/٧٩٢م ، لأن معركة وادي لكة التي انهزم فيها القوط كما قال الرازي: "كانت الملاقاة يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فاتصلت الحرب بينهم إلى يوم الأحد لخمس خلون من شوال بعد تمتة ثمانية أيام"^(٣) ، وكان فتح قرطبة في شوال من نفس العام^(٤) ، ولما كان طارق في طليطلة أوائل سنة ٧٩٣هـ^(٥) أواخر سنة ٧١١م ، فهذا يعني أن دخول جيّان ومنها بيّاسة في حوزة المسلمين كان في المدة بين شوال وذو الحجة من سنة ٧٩٢هـ / ٧١١م.

لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أول من نزل بيّاسة من الفاتحين ولكن الروايات تشير إلى من نزل جيّان منهم ، وهي تعطينا

(١) طه، الفتح والاستقرار، ص ١٥٥.

(٢) المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٦١ (عن الرازي) ؛ ينظر أيضاً؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٩٠.

(٣) المقرئ، نضح الطيب، ١/٢٥٩ (عن الرازي).

(٤) المقرئ، نضح الطيب، ٣/١٢ (عن الحجاري في المسهب).

(٥) الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩٤.

صورة عمن سكن المنطقة بشكل عام ، وكان العرب الفاتحين هم أقدم من استوطنها ومن مختلف انتماءاتهم القبلية ، فقد سكنها من أهل اليمن همدان وطيء^(١) ، ومن قضاة نزلها بنو خشين بن النمر بن وبرة^(٢) ، وبنو كنانة وأول من دخل منهم الأندلس هشام بن إسماعيل بن كنانة بن نعيم بن محمد بن عبد الله بن جحش من بني أسد بن دودان بن كنانة الذي نزل جيان ولهم وادي بها يعرف بوادي عبد الله^(٣) ، ونزلها من بني عامر بن صعصعة بنو خويلد بن سمعان بن خفاجة^(٤) ، ثم نزلها بنو قشير^(٥) ، وبنو ضباب ضباب رهط الصميل بن حاتم^(٦) ، ويبدو أن بني قشير وبني الضباب سكنوا جيان فيما بعد لأنهم دخلوا الأندلس مع بلج بن بشر القشيري بعد انهزامهم أمام البربر في المغرب وذلك سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م^(٧) ، وقد عمل الوالي أبو الخطار الحسام بن ضرار

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٣ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٠٤ ؛

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٦ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ ؛

(٧) ينظر عن ثورة البربر في المغرب ودخول بلج إلى الأندلس: ينظر الرواية: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ٢٤٦ ؛ مؤلف مجهول، أخبار

الكلبي^(١) على توزيعهم على كور الأندلس فأنزل جند قنسرين
جيان^(٢)، وأغلبهم من موالي بني أمية^(٣).

مجموعة، =ص٤٢- ٤٥؛ الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص٧٤؛
ابن عذاري، البيان المغرب، ٢١/٢ - ٢٣.

(١) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل
عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة، وكانت توليته من قبل
والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م وعزل سنة
١٢٨هـ/٧٤٥م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة
شقندة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م. ينظر ترجمته: الحميدي، جذوة المقتبس،
ص١٧٧- ١٧٨؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/٦١- ٦٦.

(٢) قال ابن الأبار: إن أبا الخطار عمل في ولايته الأندلس " على تفريق جميع
العرب الشاميين الغالبين على البد من دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا
تحملهم، وأنزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم في كور شامهم.
وتوسع لهم في البلاد: فأنزل في كورتي أكشونة وباجة جند مصر مع
البلديين الأول، وأنزل باقيهم في كورة تدمير؛ وأنزل في كورتي لبلة
وإشبيلية جند حمص مع البلديين الأول أيضا؛ وأنزل في كورة شذونة
والجزيرة جند فلسطين؛ وأنزل في كورة رية جند الأردن؛ وأنزل في كورة
إلبيرة جند دمشق؛ وأنزل في كورة جيان جند قنسرين " الحلة السيرة،
١/٦١- ٦٣؛ ينظر أيضاً: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤؛ وقال: إن بها أخلاط
من العرب من معد واليمن؛ وجند قنسرين كورة بالشام قال الإصطخري
" مدينتها حلب وهي عامرة بالأهل جداً على مدرج طريق العراق إلى الثغور
وسائر الشامات وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها وهي من أصغر المدن بها
" المسالك والممالك، ص٦١.

(٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٦٦٩.

وعلى الرغم من أن هذه الروايات تشير إلى من نزل كورة جيّان عامة إلا أنها تؤشر إلى أن سكان المنطقة قد غلب عليها العرب ، ثم تحدثنا بعض المصادر عن وجود قبائل أخرى ربما سكنت في بيّاسة في وقت لاحق مثل قبيلة حمير العربية^(١) ، ومن الأنصار^(٢) " وهم الأوس والخزرج من الأزدي " ، وسكن فيها قسم من بربر كتامة^(٣) .

كان للتركيبة السكانية في جيّان وأعمالها أثر في تاريخ الكورة لمدة طويلة ، إذ إن معظم سكانها أول الفتح من العرب ثم أضيف إليهم من جند الشام موالي بني أمية ، وقد شكل عرب جيّان قطب الرحى في الصراع القبلي الذي دار بين القيسية واليمانية في الأندلس بحكم أن زعيم القيسية الذين كانوا في جيّان هو الصميل بن حاتم^(٤) ، فبجهد عرب جيّان من جند قنشرين تمكن القيسية من من إنزال هزيمة كبيرة بالبلدين بالقرب من قرطبة سنة ١٢٤هـ/٧٤١م^(٥) ، ولعب موالي بني أمية دوراً مهماً في التمهيد

(١) ابن الأبار، التكملة، ١٢٠/٤ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٧٥/٢ ؛

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢٢/٢، ١٣٢ .

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٩٠/٢، ١٩٩/٣ .

(٤) ينظر عن الصراع بين القيسية واليمانية ودور الصميل بن حاتم: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٧٥ - ٣٠٠ .

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤١ ؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٦ - ٤٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣/٢ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٨٣ .

لدخول عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى الأندلس^(١)، كما أن الصميل بن حاتم عندما انهزم من قرطبة عند دخول عبد الرحمن الداخل إليها توجه إلى جيان يستصرخ من فيها من القيسية^(٢).
ويبدو أن للطبيعة الجغرافية للمنطقة من وفرة المياه والأشجار والحصون التي توفر ملاذاً للثائرين على السلطة فضلاً عن شعور الزعماء هناك أنهم لا يقلون مكانة وقدرة عن حكام قرطبة وهو ما دفعهم إلى الثورة كلما وجدوا ضعفاً أو تراخي عند حكام قرطبة، وهذا ما حدث أبان ثورة عمر بن حفصون^(٣) في إقليم

(١) ينظر عن دور موالي بني أمية في التمهيد لعبد الرحمن الداخل ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٤٤ - ٤٩؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٦ - ٨٦؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٦ - ٤٣٩.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٨٥.

(٣) ذكر ابن عذاري ترجمة له وأول ظهوره قال: " هو كبير الثوار بالأندلس ونسبه: عمر بن حفص، المعروف بحفصون، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذيبان بن فرغلوش بن إذفونش، من مسالة الذمة، من كورة تاكرنا من عمل رندة. وكان الذي أسلم منهم جعفر بن شتيم، ففشا نسله في الإسلام. وكان له من الولد الذكور عمر وعبد الرحمن، فولد عمر بن جعفر حفصاً. وولد حفصون هذا عمر هذا الثائر الملعون، فعمر هذا هو الذي ثار على الأمير محمد أولاً، ثم بلغ بعد ذلك في الشقاق والفتن مبلغاً لم يبلغه ثائر بالأندلس. واستوطن لأول نفاقه حصن بريشتر قاعدة وحضرة، وهي أمتع قلاع الأندلس قاطبة... واتصلت أيامه في ظهور وعزة حتى قدم فيها ثلاثة من خلفاء المروائيين " البيان المغرب، ١٠٦/٢؛ ينظر أيضاً: ابن عسكروابن خميس، مطلع الأنوار، ص ٣٢٥؛ الذهبي، سير، ٤٠٦/٢٠؛ ابن الخطيب، =

ريّة (Rayya)^(١) والتي امتدت من سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م إلى سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م^(٢)، فقد انتهز العديد من الطامعين الفرصة وقاموا بثورات عديدة، منها في كورة جيان^(٣)، وتحالفوا مع ابن حفصون الذي تمكن من ضم معظم مناطق البيرة وجيان إلى نفوذه، وقد

= أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٣٥؛ الإحاطة، ٢٥/٤ - ٢٨؛ ابن خلدون، العبر، ١٧٢/٤ - ١٧٤.

(١) ريّة، قال الإدريسي هو إقليم إلى الجنوب من قرطبة وفيه من المدن مدينة مالقة وارشذونة ومريلة وبيشستر وحصن وبشكمار وغير هذه من الحصون، نزهة المشتاق، ٥٣٧/٢؛ وذكرها ابن الخراط الإشبيلي قائلا: " كورة من كور الأندلس هي قبلي قرطبة وجوي في الجزيرة وهي من الكور المجندة لها جند الأردن من العرب وهي كثيرة الخيرات غزيرة البركات مطردة الأنهار برية بحرية لها سهل متسع وجبل ممتنع ومدنها كثيرة " اختصار اقتباس الأنوار، ص ١٤٤؛ ينظر أيضا: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٥؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، (تحقيق بوباية) ص ١٢٢ - ١٢٤.

(٢) ينظر التفاصيل عن ثورة عمر بن حفصون: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٧٢ - ١١٢. ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣١/٢ - ١٣٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٣٢/٢ - ٣٥؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق ١، ص ٣٢٣ - ٣٢٦، ق ٢، ص ٣٧٥ - ٣٨٦.

(٣) من الثوار في جيان الذين تحالفوا مع ابن حفصون: عبد الله بن أمية بن الشالية الذي ثار في جبل شمنتان من كورة جيان، وخير بن شاكر الذي قام بقرية شاكر من كورة جيان سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م، وعمر بن مضر الهرتولي المعروف بالملاح الذي قام بقرية ملاح من كورة جيان، وسعيد بن هذيل في حصن المنتلون من كورة جيان، ينظر عن الثوار في جيان ومظاهرتهم لابن حفصون: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ٢٥ - ٢٧، ٤٤، ٤٥، ٤٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣٧ - ١٣٥/٢.

أشار ابن الخطيب إلى ذلك قائلاً: " وتملك بعدها بيّاسة وأبّدة في أخبار تطول... وقصد ابن حفصون حاضرة إلبيرة وحصونها"^(١) ، وقد استمرت سيطرة ابن حفصون على جيّان حتى سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٢م عندما تمكنت قوات الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م) من افتتاحها^(٢) ، أما بيّاسة فكان فتحها من قبل قوات الإمارة سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م^(٣).

وفي عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ / ٩١٢-٩٦١م) استهل عهده باجتثاث أسباب التوتر في كورتي جيّان وإلبيرة ، فأشار ابن حيان إلى أن الناصر أمر " بهدم أكبر الحصون المبتناة أيام الهمل وقصابها ، إذ كانت مسترکناً لأهل الخلاف والنفاق عندهم ، صور إليهما في بقائهما ضرر على أهل الطاعة والاستقامة ، ووطيء أكثرها ، فاقتدر عليهم واستنزلهم من صياصيمهم ، وعمّ بالخراب حصونهم وأنزلهم البسائط ، وضارهم على الطاعة ، وكذلك ما فعل بحصون كورة البيرة ، تخطى إليها من جيّان ، فوطيء أرض من كان بقي فيها من أهل الخلاف ، فأنزلهم السهل وضارهم على الطاعة ، ونظمهم في سلك الجماعة ، فحسن أثره في ذلك ، واستبان الناس به فضل الاستقامة على الطريقة ، وهذا هو الاستنزال الثاني الذي

(١) الإحاطة، ٢٧/٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م) ص ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٥/٢.

قصد فيه جهات كورتبي جيّان وإلبيرة"^(١) ، وقال ابن عذاري: إن عبد الرحمن الناصر أمر "بهدم أكثر حصون جيّان وقصابها ، إذ كانت مستركما لأهل الشر والخرف ، وضررا على أهل الطاعة والاستقامة ، وكذلك ما فعل بحصون إلبيرة"^(٢) ، فكان ذلك سبباً في خضوعها وانقيادها طيلة القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وبعد سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م عمل الخليفة المستعين على إعطاء جيّان وأعمالها إلى بني يفرن^(٣) ، ثم استولى عليها محمد بن عبد الملك المظفر^(٤) وذلك سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م وبقيت في حوزته حتى سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م^(٥).

(١) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ / ٩١٢ - ٩٤١م) ص ٢٠٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٩٠/٢

(٣) المصدر نفسه ١١٣/٣؛ وبنو يفرن عائلة مغربية من زناتة، وهم بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرث بن جانا، أول من دخل منهم الأندلس محمد بن يدرين محمد اليفرني الذي اختلف مع ابن عمّ له فعبر إلى الأندلس في خلافة هشام المؤيد وخدم المنصور بن أبي عامر، ولما وقعت الفتنة تسلموا جيّان ثم سكنوا تاكرنا وقلعتها رنده، ينظر عن دورهم في الفتنة: ابن عذاري، البيان المغرب، ١١٣ / ٣، ٢٧٠ - ٢٧٣؛ ابن خلدون، تاريخ، ١٥/٧، ٣٢.

(٤) هو محمد بن عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي العامر لم ينكب بعد سقوط الدولة العامرية بسبب أمّه الذلفاء التي تعاونت مع الثوار، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٦٤، ١٣٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٣٣.

وبعد سقوط الخلافة الأموية سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م وتشردم البلاد إلى دويلات طوائف ، كانت بياسة وجيان أول الأمر ضمن حدود دولة بني جهور^(١) ، وفي حكمهم سادت قرطبة والمناطق المحيطة بها الخاضعة لنفوذهم الأمن والسكينة وانتعشت فيها الحياة الاقتصادية وأصبحت حرماً آمناً يأمن فيها كل خائف^(٢).

إلا أن ذلك الهدوء لم يستمر إذ كانت أهم ميزة امتازت بها دويلات الطوائف هي أنها تركت واجبها الديني والأخلاقي في محاربة أعدائها من الدول النصرانية وأخذت تتحارب فيما بينها في صراع عنيف كل يسعى لتوسيع حدود دويلته على حساب الآخر ، وقد فقدت الأندلس جراء ذلك الألاف من أبنائها فضلاً عن الخراب والدمار الذي حلّ بالمدن والقرى والحصون ، وقد صور ابن حزم حالة ملوك الطوائف هذه إذ قال: " وأما ما سألتكم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض ،

(١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٢.

(٢) استمر بنو جهور في حكم قرطبة وما يجاورها من ٤٢٢هـ/١٠٣٠م حتى سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م، ينظر التفاصيل عن دولة بني جهور: ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢/٢٠٣ - ٢٠٤ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص ٢٩ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ٢/٦٠٢ - ٦٠٨ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٣٨ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٢ - ٥٣ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٣٠ - ٣٤ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٥٦ - ٥٧ ؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/١٨٥ - ١٨٧ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٣/٤٣٩ - ٤٤٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٤٠ - ١٤٧ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ٢٠ - ٣٠.

فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة ، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب ، وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه ، ولها عن آخرها ، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد ، للذي ترونه عياناً من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم ، وإياحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على أهلها ، ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين ، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام ، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله ، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيبهم...^(١)

ويبدو أن مدينة بياسة لم تدم طويلاً تحت نفوذ بني جهور إذ قامت في مدينة المرية (Almeria) دويلة على يد الفتيان العامريين^(٢)

(١) رسائل ابن حزم، ١٧٣/٣.

(٢) لما وقعت الفتنة بالأندلس كان على المرية أحد الفتيان العامريين يدعى أفلح الصقلبي وكان كبير السن فهاجمه خيران العامري سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م واتخذها قاعدة له في شرق الأندلس وعمل على تحصينها وضبطها وبناء أسوارها، وبعد وفاته سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م خلفه عليها زهير العامري واستمر حتى مقتله على يد حبوس بن باديس الصنهاجي سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، ينظر: ينظر: ابن بسام، الذخيرة، ٢/٧٢٩ - ٧٦٩ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٦١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٧٨ - ٩٠ ؛ ابن سعيد، المغرب، ٢/١٩٥ - ٢٠٣ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٤/٢٦٩ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، =

الذين عملوا على توسيع حدود دولتهم حتى ضمت كما يقول ابن عذاري أيام زهير العامري^(١): "وامتدت أطناب مملكته من المرية إلى قرطبة ونواحيها وإلى شاطبة وما يليها إلى بياسة إلى الفج من أول طليطلة"^(٢)، وهذا يعني أنها شملت مناطق مهمة من شرق الأندلس، إلا أن زهير لم يقنع بذلك، فقد دفعه طموحه إلى ضم مملكة غرناطة إلى نفوذه عندها اصطدم بباديس بن حبوس الصنهاجي^(٣) أمير غرناطة فدارت بينهما معركة خارج غرناطة سقط فيها زهير العامري وذلك سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م^(٤)، وعلى إثر ذلك استولى باديس بن حبوس على القسم الغربي من أملاك مدينة

١٨٣/٢ - ١٨٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/٢٠٨؛ المقري، نضح الطيب، ٣/٣٦٦ - ٣٦٧

؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٥٨ - ١٧٣ .

(١) حكم زهير العامري المرية للمدة بين سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨م حتى سنة

٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) البيان المغرب، ٣/١٦٨ - ١٦٩ ؛ ينظر أيضا: ابن الأثير، الكامل في التاريخ،

٧/٦٣٠ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٠١ ؛ الإحاطة، ١/٢٩٧ .

(٣) هو باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري بن مناد حكم دولة غرناطة بعد

أبيه حتى سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م وأصبحت هذه الدولة من أقوى دول الطوائف

في عهده، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢١٢ - ٢١٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في

الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٢٧ - ١٤٠ .

(٤) ابن بلقين، كتاب التبيين، ص ٤٥ - ٤٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب،

٣/١٦٦ - ١٦٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٠٢ ؛

المرية ومن ضمنها جيّان وأعمالها^(١)، وبقيت جيّان وأعمالها تدار من قبل دولة بيني زيري حتى أواخر عهد باديس عندما ركن إلى الدعة والترف فوق التفكك في دولته ومن ضمن ما فقده بعض أعمال جيّان لصالح المعتصم بن صمادح^(٢) حاكم المرية^(٣)، ولما توفي باديس سنة ١٠٧٢هـ/١٠٦٥م وخلفه حفيده عبد الله بن بلقين وكان ضعيفاً فطمع المعتمد بن عباد في توسيع نفوذه على حساب أراضي مملكة غرناطة فاستولى على بيّاسة^(٤) بعد أن أخذ قرطبة^(٥).

وفي حكم بني عباد بيّاسة يبدو أن حركة قامت ضدّهم فيها، لم تذكر المصادر التي بين أيدينا تفاصيلها أو القائمين بها، إلا أن ابن بسام أشار إلى رسالة بعثها المعتمد بن عباد إلى أحد أولاده يبشره

-
- (١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٣٠.
 - (٢) أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم بالله حكم مملكة المرية من سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م وزج نفسه في الفتن والحروب مع ملوك الطوائف ولكنه تمكن من المحافظة على دولته حتى وفاته قبيل دخول المرابطين المرية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٦١؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٧٨/٢ - ٩٠؛ ابن سعيد، المغرب، ١٩٥/٢ - ٢٠٣؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٦٩/٢٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٣/٢ - ١٨٦.
 - (٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٣٦/٧؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الطوائف، ص ١٦٧.
 - (٤) ابن بلقين، التبيان، ص ٦٥.
 - (٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٥٤ / ٢.

بها أنه تم القبض على وزيره السابق ابن عمار^(١) والذي ثار ضده^(٢) ويرد ذلك بالقول أنه في الوقت نفسه جاءت رسالة من أخيه المأمون بن المعتمد يبشره أيضاً بأنه تمكن من دخول حصن بيّاسة ، إذ قال: " وفي أمسه ورد كتاب المأمون أخيك من داخل حصن بيّاسة ، وأن أهلها لما بلغهم تأهبي لمحاصرتهم ، واحتفالي لمنزلتهم ، وعلموا أن تدبيرهم قد اضمحل في أيديهم ، وأن صريخهم قد خرس عن إجابة داعيهم ، وتيقنوا أنني إذا نويت مضيت ، وإذا لججت حججت ، خامرهم الفزع ، وضاق بهم المتسع ، ومشى بعضهم إلى بعض يتشاورون كيف المصنع ، وأين المنزع ، فلم يروا لأنفسهم طريقاً

(١) وأبو بكر بن عمار بن حسين المهري من شلب، كان واحداً من كبار شعراء الأندلس طاف على ملوك الطوائف ثم اختص بالمعتمد بن عباد الذي استوزره ثم تقلبت به الأحوال فغضب عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، ابن بسام، الذخيرة، ٢/٢٧٨ - ٣٢٦ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرية، ١٣١/٢ - ١٦٥ ؛ المراكشي، المعجب، ص ٨٥ - ٩٧ .

(٢) لما استقل أبو عبد الرحمن بن طاهر في حكم مرسية حتى سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م حينها طمع المعتمد بن عباد في ضمها إلى دولته فأرسل إليها وزيره أبا بكر بن عمار وقبض على أبي عبد الرحمن بن طاهر فادخل السجن ،وعندما صفت له مرسية جنح إلى الاستقلال عن المعتمد، وأخذ يتصرف فيها كحاكم مستقل وهجا المعتمد وزوجته اعتماد الترميكية وهو ما أثار حفيظة قائد الجيش ورفيقه في فتح المدينة عبد الرحمن بن رشيق،وعندما أحس ابن عمار بتحريك الجند فرّ عنها وأخذ يتحول من مكان لآخر حتى تمكن المعتمد من القبض عليه وقتله، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ٨٦ - ٨٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرية، ١٤٠/٢ - ١٥٨ .

أنجى ، ولا مهرباً أجدى بالخلاص وأحجى ، من الترامي علي ،
والاستسلام إليّ ، فبادروا نحوي رجالاً وركباناً ، وتسربوا قبلي
زرافات ووحداً ، ولم أرد حضرة قرطبة إلا وقد لحق بها منهم
أفواج ، وسالت بمن وراءهم أباطح وفجاج ، كل يستعطف ويستنزل ،
ويسأل لمن وراءه عفواً يعم ويشمل ، فأقبلت وقبلت ، وعذرت
واغفرت" ^(١) وكان ذلك سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ^(٢).

واستمرت بياسة تحت حكم بني عباد حتى سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م
إذ دخلها المرابطون (Almoravides) بقيادة القائد المرابطي سير بن
أبي بكر وقتلوا المأمون بن المعتمد ^(٣) فخضعت المدينة للحكم
المرابطي.

أنعمت جيّان وأعمالها بالهدوء في السنوات الأولى من عهد
الدولة المرابطية ، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن المرابطين تمكنوا
من نقل خط المواجهة مع النصارى إلى منطقة الثغر الأوسط
الأندلسي إلى الشمال من قرطبة ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً ، فبعد
وفاة يوسف بن تاشفين ^(٤) سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ، شجع ذلك النصارى

(١) الذخيرة، ٤١٦/٣.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ٤١٧/٣.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٥٤ - ١٥٥ ؛ ابن الخطيب، الحلل الموشية،
ص ٥٢ - ٥٣ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٥٤/٢.

(٤) هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانطق بن منصور بن
مصالة بن أمية بن واتملي بن تليت بن الحميري الصنهاجي وأمه فاطنة =

استئناف غزواتهم على أراضي المسلمين ، ففي سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م هاجمت القوات القشتالية (Castilla) أراضي المسلمين واقتربوا من قرطبة فتصدى لهم القائد المرابطي محمد بن مزديلي إلا أنه قتل مع عدد من الزعماء المرابطين فتقدمت القوات القشتالية نحو بياسة وهزموا قوة مرابطية أخرى ولم ينقذ الموقف إلا بتدخل قوات مرابطية جاءت من مرسية وبلنسية وطرطوشة (Tortosa)^(١) ، وفي سنة ٥٣٢هـ / ١١٢٧م خرجت قوات قشتالة بمجشود كبيرة ووصلوا إلى بياسة وأبدا وحاولوا عبور نهر الوادي الكبير إلا أن هطول الأمطار وارتفاع مياه النهر حال دون ذلك واضطروا تحت ضغط الأحوال الجوية ومقاومة قائد جيّان إلى الانسحاب^(٢).

وفي أواخر العهد المرابطي تعرضت قواتهم إلى محنة كبيرة ، ففي الوقت الذي كانت فيه القوات الموحدية وأنصارها يخضعون المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى كانت قوات قشتالة تنتزع ما أمكنها من المدن والحصون وبالأخص القريبة من قرطبة معقل القائد

= بنت سير بن يحيى بن وجاج بن ورتانطق ولد سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م بالصحراء وتوفي سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م، ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٣٦، ١٣٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٢/٤.

(١) ينظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٦٢ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣/٢٠٧ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٧٢، ٧٥.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ٥٢٦ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ١٤٣.

المرابطي يحيى بن غانية^(١)، في مثل هذه الظروف رأى القشتاليون أن من الفطنة مهاندنة ابن غانية في قرطبة ليكون سدا بينهم وبين الموحديين (Los Almohades) على أن يكون تابعا لهم ويؤدي الجزية وذلك في أوائل سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م^(٢)، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد فنفاذ الموحديين في الأندلس أخذ بالتوسع بعد أن عبرت وفود من أهل الأندلس للاستنجاد بهم^(٣)، وأن الملك القشتالي اشتط في مطالبه وأخذ يضيق عليه، فطالبه بالتنازل له عن بياسة وأبدا لقاء الاستمرار في محالفته، ثم عاد فطالبه بالتخلي عن جيان كلها أو مضاعفة الجزية^(٤)، وكان امتلاكهم لبياسة في جماد

(١) هو يحيى بن علي بن غانية من قبيلة مسوفة البربرية، وغانية أمه، كان رجلاً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث، ومع هذا كان فارساً شجاعاً، أرسله الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وتمكن من توطيد الأمور فيها، فعينه والياً على بلنسية ثم على قرطبة، وكانت وفاته في حدود سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، ينظر: المراكشي، المعجب، ص ١٩٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحديين، ص ٤٠-٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤؛ أعمال الأعلام، ٢٢٩/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٣٢.

(٣) وينظر عن الوفد الأندلسي إلى عبد المؤمن بن علي: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٤٦/٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحديين، ص ٣٣-٣٤.

(٤) الضبي، بغية الملتمس، ص ٥٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠١/٤؛ ابن خلدون، العبر، ٣١٤/٦؛ السلوي، الاستقصا، ١١٨/٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ١، ص ٣٣٢.

الأولى من سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م^(١).

عندها شعر ابن غانية بالحرج الشديد واضطر إلى الاتصال سراً بالموحدين واجتمع مع أحد قادتهم في مدينة إستجة واتفق معه على تسليم قرطبة للموحدين ، فوافق الموحدون على طلبه ، فيما توجه هو إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين في الأندلس إذ توفي بعد مدة وجيزة^(٢) ، ويبدو أن بياسة بقيت بيد النصارى حتى تمكن الموحدون من استرجاعها سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م ، ذلك أن الموحدين أرسلوا في هذه السنة قواتهم إلى شرق الأندلس بقيادة الشيخ أبي حفص الهنتاني^(٣) الذي عبر بصحبة أبي سعيد أحد أبناء عبد المؤمن بن علي وحاصروا النصارى في مدينة المرية فاستغاثوا بالفونسو السابع المعروف بالسليطين فأرسل إليهم حليفه محمد بن سعد بن مردنيش^(٤) إلا أنهم لم يستطيعوا فك الحصار عن المرية

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/١٥٢؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٤/٣٠٠؛ السلاوي، الاستقصا، ٢/١١٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٤٠-٤١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤/٣٠١؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣١٤؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٣) هو أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني أحد أصحاب محمد بن تومرت العشرة وإليه ينتسب الحفصيين في تونس، وكانت وفاته سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م. ابن خلدون، العبر، ٧/٥٠٧.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش، وذكر ابن الأبار أن ابن مردنيش جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس، وينفي فرانشيسكو كوديرا نسبه العربي ويرجح أنه يعود إلى الجالية البيزنطية التي كانت في الأندلس قبل الفتح، وقد تمكن =

عندها انسحب النصارى من المرية مع ابن مردنيش ، وقام الفونسو السابع بإخلاء بيّاسة وأبدة خوفاً عليهم وعاد إلى بلاده فدخلها الموحدون^(١) بعد أن بقيت بيد النصارى أربع سنوات.

وفي هذا الأثناء كان محمد بن سعد بن مردنيش الثائر في شرق الأندلس قد عظم شأنه ودخل في محالفات مع النصارى وأخذ يوسع نفوذه على حساب الموحدين ، فأشار ابن الخطيب إلى ذلك ذلك قائلاً: "وتحرك محمد بن مردنيش إلى بلاد الموحدين فتغلب على جيّان وأبدة ، وطاعت له بيّاسة ، ونازل قرطبة ، ثم إشبيلية عام أربع وخمسين وخمسمائة"^(٢) ، وجعل ابن مردنيش على جيّان وأعمالها صهره إبراهيم بن همشك^(٣) ، وكان ابن همشك فارساً

=من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا إنه اصطدم بالموحدين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسّ في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحد، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، وتوفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢١؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ٢/٢٣٢ وهامش (١) ص ٢٣٣؛ وعن الحروب بين ابن مردنيش والموحدين ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة تاريخ المن بالإمامة، ص ١٨٧- ١٩٦؛ المراكشي، المعجب، ص ١٧٧؛ ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص ٢٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/٧٠- ٧٤.

(١) السلاوي، الاستقصا، ٢/١٢٢.

(٢) أعمال الأعلام، ٢/٢٣٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٧٤؛ وإبراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك أسلم جده على يد أحد ملوك بني هود، وعندما

نجداً فاتفق هو وابن مردنيش على ضم غرناطة وتمكنوا من هزيمة الموحدين فيها ، وهو ما أثار حفيظتهم فأرسلوا اثنين من أبناء عبد المؤمن بن علي وهما أبو سعيد وأبو يعقوب على رأس قوة تمكنت من هزيمة ابن مردنيش وابن همشك ، وعلى إثر هذه الهزيمة انسحب ابن همشك إلى جيان^(١) ، حدث نزاع بين الحليفين فطلق ابن مردنيش ابنة ابن همشك وهو ما دفع الأخير إلى الانشقاق عنه والانضمام إلى الموحدين وكان ذلك سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ، فأخذ ابن مردنيش يشن الغارات على مناطق نفوذ ابن همشك الذي استصرخ بدوره حلفاءه الجدد الموحدين ، ثم ذهب بنفسه إلى مراكش وقابل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وحثه على تقديم العون له ضد ابن مردنيش ، عندها وجه عبد المؤمن أخويه أبا حفص عمر وأبا سعيد عثمان وعدد من أشيخ الموحدين وانضم

=اضطربت الأحوال في أواخر عهد المرابطين اتصل بأمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش وصاهره على ابنته، وقاد الجيوش معه وكان شجاعاً شديداً حاد البأس، وفي سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م دخل غرناطة وهزم الموحدين في معركة مرج الرقاد ومثل بهم، ثم إن علاقته ساءت بابن مردنيش بعد أن طلق ابنته انضم ابن همشك إلى الموحدين نكاية بصهره واستمر في ولائه لهم حتى وفاته بعد سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣٦-٢٣٧ ؛ الإحاطة، ١/١٥١-١٥٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق، ١، ص٣٦٨.

(١) ينظر التفاصيل: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩/٢٩٢-٢٩٣ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٤-٧٧.

إليهم حليفهم إبراهيم بن همشك الذي كان يدلهم على الطرق
والمسالك التي يتواجد فيها أنصار ابن مردنيش ، فتوجهوا نحو قرطبة
ومنها مدينة قيطاجة الواقعة شرقي جيان^(١) التي دخلت مرة أخرى
في حوزة الموحدين فأقرّ الخليفة الموحدي ابن همشك عليها وذلك
سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م وبقي فيها إلى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م^(٢).

وفي سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٤م حدثت معركة الأرك^(٣) التي أحرز
الموحدون فيها انتصاراً كبيراً على القشتاليين ، وعلى أثرها وقع
الطرفان هدنة لمدة عشر سنوات^(٤) ، وفي سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م عند

(١) ينظر: ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص ٢٧٥ - ٢٨٠، ٤١٣ -
٤٢٣، ٤٣٢ ؛ المراكشي، المعجب، ص ١٨٣ - ١٨٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال
الأعلام، ٢/٢٣٦ - ٢٣٧ ؛ الإحاطة، ١/١٥٥، ١/٧٣ ؛ ابن خلدون، العبر،
٦/٣١٨ - ٣١٩، ٣٢١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين
والموحدين، ق ٢، ص ٤٨ - ٥١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ١/١٥٥.

(٣) ينظر عن معركة الأرك: المراكشي، المعجب، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ؛ ابن خلكان،
وفيات الأعيان، ٧/٦ - ٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٧ ؛ ابن عذاري،
البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢١٧ - ٢٢٢ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس،
ص ٢٢٠ - ٢٢٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/١٠٥٦ ؛ النويري، نهاية الأرب،
٢٤/٣٣٢ - ٣٣٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/١٤ ؛ اليافعي، مرآة الجنان،
٣/٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ ابن خلدون، العبر، ٦/٣٢٠ - ٣٣٠ ؛ المقرئ، نضح الطيب،
١/٤٤٣ ؛ السلاوي، الاستقصا، ٢/١٨٧ - ١٩٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في
الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ١٩٧ - ٢١٤.

(٤) المراكشي، المعجب، ص ٢٠٧ ؛ المقرئ، نضح الطيب، ٤/٣٨٢.

اقترب أمد الهدنة أخذ ملك قشتالة يشن الغارات على مناطق شمال قرطبة فسار صوب جيّان وبياسة وانتسف زروعها وحقولها وخرب ضياعها ، وكرر ذلك في العام التالي وعاث في أراضي جيّان وبياسة ثم عاد إلى طليطلة^(١) ، عندها وجهت صرخات الاستغاثة للخليفة الموحي الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٨-١٢١٣م) بإسعافهم ، وبعد إتمام استعداداته خرج الناصر الموحي في جيوشه من إشبيلية نحو جيّان ، فأبده وبياسة ثم سار شمالاً لملاقات النصاري فكان اللقاء في موضع العقاب سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م^(٢) فكانت الهزيمة على الجيش الموحي^(٣) ، بعدها سار ملك قشتالة لاستثمار النصر إلى مدينتي بياسة وأبدة القريبتين من ساحة المعركة ، فما أن سمع أهل بياسة بذلك حتى غادرها معظم أهلها ولم يبق فيها إلا الجرحى والضعاف فأحرق دورها ، وخرب المسجد الجامع ، وقتل معظم من وجده بها ، ثم سار إلى مدينة أبدة وقد تحصن بها أهلها مع من فر إليها من

-
- (١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٨٤ ؛ أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٠٧ .
- (٢) العقاب موقع بين جيّان وقلعة رباح، الحميري، الروض المعطار، ص ٤١٦ .
- (٣) ينظر عن موقعة العقاب: المراكشي، المعجب، ص ٢٣٦ - ٢٣٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ٢٥٨ - ٢٦٤ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٥/٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩/٤٣ ؛ الياضي، مرآة الجنان، ١٦/٤ ؛ المقرئ، نضح الطيب، ٣٨٣/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٢٨٣ - ٣٢٦ ؛ أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٠٥ - ١٢٤ .

أهل بياسة فاقتمها وقيل أنه قتل فيها زهاء ستين ألفاً ، وقال المراكشي يصف ما حلّ بالمدينتين أن الفونسو الثامن "قصد مدينتي بياسة وأبذة ، فأما بياسة فوجدتها أو أكثرها خالية ، فحرق دورها وخرّب مسجدها الأعظم ، ونزل على أبذة وقد اجتمع فيها من المسلمين عدد كثير من المنهزمة وأهل بياسة وأهل البلد نفسه ، فأقام عليها ثلاثة عشر يوماً ، ثم دخلها عنوة فقتل وسبى وغنم ، وفصل هو وأصحابه من السبي من النساء والصبيان بما ملثوا به بلاد الروم قاطبة ، فكانت هذه أشد على المسلمين من الهزيمة"^(١) ، ويصف أشباخ ما فعله النصارى في بياسة بقوله "فتحوا عقب الموقعة بأيام قلائل عدة حصون مثل... بياسة ، ولم يكن في بياسة سوى المرضى والضعاف ، والظاهر أنها كانت المستشفى للجيش ، وكان هؤلاء التعساء قد احتشدوا في مسجد المدينة الكبير ، ينتظرون مصيرهم جزعين ، فشاءت قسوة النصارى أن يجهزوا عليهم جميعاً بالسيف ما عدا قلائل منهم أخذوا أسرى ، بل ذهب النصارى الذين أعمتهم نشوة النصر في قسوتهم ويطشهم إلى أسفل درك حينما هاجموا مدينة أبذة... فقتل من المسلمين في أبذة زهاء ستين ألفاً ، وسبى مثل هذا القدر ، وهدمت الدور بعد أن خلت المدينة من سكانها ، عندئذ أبدى الأحبار رضاهم ، ورتلوا أناشيد الشكر

(١) المعجب، ٢٣٦؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق

ضارعين إلى المولى أن يشملهم برحمته"^(١).

ولكن الملك القشتالي لم يبق في المناطق التي دخلها ، ويشير عنان إلى سبب ذلك قائلاً: "ولكن مصاعب التمويل كانت تتفاقم ، وقد سادت الفوضى بين جنود الجيش الظافر ، الذين امتلأت أيديهم بالغنائم ، ثم كانت الطامة بانتشار الوباء بينهم من جراء اشتداد الحرارة ، وتعفن الجثث التي غصت بها تلك الوديان ، فارتد الملوك النصرارى في قواتهم نحو الشمال ، ودخلوا طليطلة عاصمة قشتالة في موكب ملوكى ضخمة ، وأقيمت صلوات الشكر ابتهاجاً بالنصر"^(٢).

بعد هزيمة الموحدين في العقاب دخلت دولتهم في مرحلة من الضعف والانحلال ، فشب صراع داخلي على السلطة بين أسرة بني عبد المؤمن ، وفي الأندلس تحفزت القوى المحلية للانفراد بالسلطة في مختلف المناطق والثورة على الموحدين على الصورة نفسها التي جرت في أواخر عهد المرابطين ، وبخصوص مدينة بياسة فقد تأثرت بما جرى من منافسات بين أبناء بني عبد المؤمن ، فتولى حكم الدولة الموحدية بعد وفاة الخليفة الناصر ابنه المستنصر بالله^(٣) الذي حكم حتى سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م إذ توفي فجأة فبايع أهل مراکش عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (٦٢٠-٦٢١هـ / ١٢٢٣-١٢٢٤م) بالخلافة فعارض بيعته ابن

(١) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ق ٢، ص ٣٢٤.

(٣) تولى الخلافة في الدولة الموحدية للمدة ٦١٠ - ٦٢٠هـ/١٢١٣ - ١٢٢٣م)،

ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٤١ - ٢٤٣

أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان والياً على مرسية بالأندلس فدعا أشياخ الموحدين إلى بيعته فتم له ذلك في سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م وتلقب بالعدل (٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤-١٢٢٦م) وسار إلى إشبيلية وأخذ في تدبير الأمور ، فأصبح للدولة الموحدية خليفتين أحدهما في مراكش والأخر في إشبيلية ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، ذلك أن ابن عمّ العادل أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن خلع بيعة العادل ودعا لنفسه خليفة للموحدين وأطاعه أهل جيان وأبدة وبياسة ، ولقب بالبياسي لأنه اتخذها مقراً له ، عندها بعث العادل الموحدي جيشاً للقضاء عليه ، فراسل البياسي ملك قشتالة يطلب الخضوع والطاعة وأن يسلم إليه قسبة المدينة لقاء مساعدته ، ولما ضرب الجيش حصاراً على مدينة بياسة كان الوقت شتاء ومع هطول الأمطار وارتفاع منسوب المياه ، فضلاً عن خشيتهم من مدهامة القشتاليين حلفاء البياسي ، اضطر الجيش الموحدي إلى الانسحاب ، فكرر العادل الموحدي إرسال قوة أخرى إلا أن البياسي تمكن بمساعدة القشتاليين من هزيمتها^(١).

كان فشل قوات العادل الموحدي القضاء على حركة البياسي سبباً في زيادة طموحه ، فأرسل قواته سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م تجاه مدينة قيجاطة^(٢) فتمكن من اقتحامها بمساعدة الجند القشتالي ، وفي السنة

(١) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١.

(٢) قيجاطة وهي من أعمال مدينة جيان سقطت بيد النصارى سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م، الحميري، الروض المعطار، ص ٤٨٨.

التالية تمكن مع حلفائه من إخضاع معظم الحصون في كورة جيان ، ثم قرر التوجه إلى إشبيلية ومعه جيش من النصارى ، وبالقرب من طلياطة (Tliata) اشتبك مع الجيش الموحيدي وانزل بهم هزيمة كبيرة وقتل منهم نحو من ألفي رجل وكان نتيجة ذلك أن خضعت للبياسي معظم الحصون الواقعة بين إشبيلية وقرطبة ، وعندما رأى أهل قرطبة ذلك خلعوا طاعة واليهم الموحيدي ودخلوا في طاعة البياسي^(١) .

ثم إن الملك القشتالي طلب منه أن يسلم إليه طائفة من الحصون في منطقة قرطبة وهي شلبطرة (Salvatierra)^(٢) وبرج الحمة^(٣) فضلاً عن قصر بياسة فأدخل "الروم قسبة بياسة وأسكنهم فيها ، والمسلمون معهم في سائر المدينة ، وكان دفعه القسبة إليهم على سبيل الرهن في مال كان لهم تعين عليه ، فبقوا في القسبة ساكنين ، والمسلمون في البلد يداخلونهم ويعاملونهم ، وهو إذ ذاك في قرطبة مقيم"^(٤) .

بعدها قرر البياسي - بعد أن فرض سيطرته على معظم مناطق

(١) ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحيدين، ص ٢٧١ ؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٣ .

(٢) شلبطرة وهي حصن من عمل قلعة رباح، الحميري، الروض المعطار، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين والموحيدين، ق ٢، ص ٣٦٠ .

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص ١٢١ ؛ ينظر أيضاً: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٣ .

الأندلس الوسطى . أن يستولي على إشبيلية ويقضي على منافسه نهائياً ، فخرج بقواته صوبها سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م فاستعد الجيش الموحي للقاءه ونشبت معركة هُزم فيها البياسي ، ومزق جيشه ، وارتد إلى قرطبة ، ولما رأى أهل قرطبة افراطه في التحالف مع النصارى وتسليم الحصون إليهم ثاروا ضده ، ففر منها إلى حصن المدور(Almodovardel Roi)^(١) ولكن ثوار قرطبة اقتحموا عليه الحصن وقتلوه وبعثوا برأسه إلى حاكم إشبيلية الموحي^(٢) ، ويعلق الحميري على ذلك بقوله: " فلما غزا اشبيلية وانصرف عنها مفلولاً مكسوراً ثار به أهل قرطبة ، إذ توهموا أنه يريد إدخال النصارى مدينتهم ، فخرج عنها فاراً إلى الحصن المدور ، فأقام هناك وبقيت بياسة بيد الروم"^(٣).

وعن كيفية قتله روي أنه لما دخل قرطبة صاحوا عليه أهلها صيحة واحدة وزحفوا على قصره فخرج خائفاً يركض فرسه فخرجت الخيل خلفه ، فلحقه فارس منهم فقال له: إلى أين؟ أنت تزعم أنك تكسر الجيوش باسمك وحدك ارجع إليّ فهذا أنا وحدي. فقال إنما كنت أكسره باسم السعادة فهل لك في أن تصطنعني فما أجدني أقدر على الدفاع ، فحمل عليه وأخذ سيفه من يده وضرب عنقه به وحمل

(١) وهو حصن يقع بالقرب من قرطبة، الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٧٤.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحيين، ص ٢٧١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٤.

(٣) الروض المعطار، ص ١٢١.

رأسه إلى والي الموحدين في إشبيلية فأعطاه ألف دينار^(١).
لبث ثورة عبد الله البياسي ثلاثة أعوام كان من أهم نتائجها أنه
مهّد للنصارى السيطرة على العديد من المدن والحصون المهمة ، وقد
أعطى صورة قائمة عن شخصيته ، فابن عذاري اتهمه بالارتداد عن
الإسلام بقوله: " وذكر عن البياسي أمر شنيعة منها أنه دخل في
دين النصرانية"^(٢) ، وعلق ابن أبي زرع على تسليمه حصن شلبطرة
بالقول: " أعطى البياسي حصن شلبطرة للنصارى وبالأمس بذل
الناصر في أخذه الأموال الجليلة حتى ملكه المسلمون"^(٣) ، وعلق
عنان بقوله: " ونستطيع أن نعتبر البياسي بالفعل على ضوء ما تقدم ،
من أعماله وخياناته المتوالية لقضية الإسلام ، وقضية الأندلس ،
تحقيقاً لأطماعه الوضيعة ، شخصية بغيضة مثيرة ، تستحق أن
يدمغها التاريخ بأقصى الأحكام"^(٤).

أما أهالي بيّاسة لما وصلتهم أنباء مقتل البياسي تنفسوا
الصعداء ، ويوضح الحميري موفقهم الحرج ومعاناتهم بالقول:
" وأحب أهل بيّاسة إخراج الروم عن قصبتهم فدخلوا صاحب
جيان: عمر بن عيسى بن أبي حفص بن يحيى وسألوه المسير إليهم
في جموعه ، فجاءهم بحشوده ومعه محمد بن يوسف المسكدالي ،

(١) الصفدي، التوايغ بالوفيات، ٢٠٩/٨.

(٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص ٢٧١

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٣.

(٤) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

فدخلوا بيّاسة ، وأما من كان بالقصبة من الروم فلم يبالوا شيئاً ،
وأما من كان منهم بالمدينة فأتى عليه القتل بعد أن أبلوا في الدفاع ،
إلا أنهم غلبوا بالكثرة ، وبقي أهل القصبة لا يستطيع أحد الوصول
إليهم لحصانتها ، ولو أراد الله تعالى لوفق هذا الوالي إلى المقام ، فإن
أهل القصبة لم يكن عندهم شيء يقتاتونه إلا ما يأتيهم من المدينة
مياومةً ، فلو مكث عليها يوماً أو يومين لضاقوا وخرجوا ، ولم يكن
أهل ملتهم نصرورهم إلا في مدة بعيدة لبعده المسافة ، ولكن أبى
المقدار أبى إلا أن يفرغ في يومه ذاك ولم يجسر على المبيت ليلة
واحدة ، وظن أن الفجاج ترميه بالخيال والرجال ، فقال لأهل البلد:
أنا راجع فمن أحب أن يخرج فليخرج ومن أحب أن يقعد فليقعد ،
فرغبوا أن يمكث يوماً أو يومين فأبى عليهم إلا الرجوع في يومه ،
فلم يكن لأهل البلد بد من فراق بلدهم والخروج عن نعمتهم ،
فتفرقوا في البلاد وبقي الروم في جميع المدينة وملكوها كلها"^(١).

وهكذا سقطت مدينة بيّاسة بيد النصارى في أواخر سنة ٦٢٣هـ/
١٢٢٦م ، وكما أسهم عبد الله البياسي في ضياع العديد من الحصون
ومكن النصارى فيها ، فإن ما فعله الوالي الموحدى عمر بن عيسى
في مدينة بيّاسة وتسليمها للنصارى دون أي مقاومة يمثل صورة
بغیضة وخيانة لقضية الأندلس.

(١) الروض المعطار، ص ١٢٢.

ثالثاً: الحياة الفكرية في مدينة بياسة

حكم المسلمون مدينة بياسة أكثر من خمسة قرون (٩٣-٦٢٣هـ/ ٧١١-١٢٢٦م)، وقد سكنها العديد من القبائل العربية إلى جانب أهلها من الأسباب الذين دخل بعضهم الإسلام فكان منهم المولدين، وسكنها العديد من البربر إلى جانب إخوانهم المسلمين، وقد أسهم هؤلاء جميعاً في رفا الحركة الفكرية في بياسة والأندلس عامة، وبرع العديد منهم في مجالات علم القراءات، والحديث، والفقه، واللغة، والأدب والشعر، والتاريخ، والكلام، والحساب، نذكر منهم:

- أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي شاعرٌ وأديب تولى قضاء بياسة، وله رسالة في فضل الأندلس، وتوفي بعد ٦٢٧هـ/١٢٢٩م^(١).

- أبو بكر حازم بن محمد بن حازم أنه ولي قضاء بياسة، قال ابن سعيد: وكان فيها ذا أموالٍ عريضةٍ، وله حسبٌ وارفٌ، وشعرٌ لطيف^(٢).

- أبو بكر سعيد بن أحمد بن محمد النحوي البياسي، كان يستظهر كتاب سيبويه، له رحلة إلى المشرق، وكان حياً سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م^(٣).

(١) ابن سعيد، المغرب، ١/٢١٨ - ٢١٩؛ المقري، نضح الطيب، ٣/٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) المغرب، ٢/٧٢.

(٣) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ٧/٢٣٢ - ٢٣٣؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١/٥٨٢.

- سعيد بن محمد بن علي بن حسنون الحميري من أهل
بيّاسة أخذ عن أبيه أبي بكر وغيره وتصدر بعد أبيه للإقراء ،
قال ابن الأبار: ولم أقف على تاريخ وفاته^(١) .
- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الثقفي
الأندلسي البياسي المالكي ، كان أديباً وله شعر ، رحل إلى
مصر وتوفي بها سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧^(٢) .
- أبو محمد عبد الله بن خلف بن بقي القيسي من أهل
بيّاسة ، محدث ومقرئ ، روى عن أبي بحر الأسدي^(٣) وأبي
الأصبع بن عبادة الجياني^(٤) وأخذ القراءات بمرسية عن أبي

(١) التكملة، ٤/١٢٠ .

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/٣٠ .

(٣) هو أبو بحر سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان بن عيسى
بن عبد الكبير بن سعيد الأسدي سكن قرطبة وأصله من مرياط من شرق
الأندلس ، روى عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ، وأبي العباس العنزي، وأبي
الليث نصر بن الحسن السمرقندي، وأبي الوليد الباجي، كان من جلة
العلماء وكبار الأدباء، ضابطاً لكتبه، صدوقاً في روايته. حسن الخط جيد
التقييد. من أهل الرواية والدراية، توفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، ابن بشكوال،
الصلة، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٤) هو أبو الأصبع عبد العزيز بن عيسى بن عبادة التجيبي من أهل جيان،
محدث روى عن أبي مروان بن سراج وطبقته وكان فقيهاً مشاوراً له معرفة
باللغة والأدب سَمِعَ مِنْهُ أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ بْنِ بَقِيِّ الْبِيَّاسِيِّ وَسَمِعَ
مِنْهُ أَيْضاً أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدِ بَجِيَّانَ، وَتُوفِّيَ عَامَ ٥٤٠ هـ/١١٤٥م، ينظر: ابن
الأبار، التكملة، ٣/٩٢ .

الحسين بن البياز^(١) ورحل حاجا فلقي بمكة أبا محمد عبد الله بن عمر المعروف بابن العرجاء^(٢) فحمل عنهم القراءات وجودها عليهم ، وقفل إلى بلده بيّاسة وتصدر للإقراء به ، وتوفي بعد سنة ١١٤٥/هـ٥٤٠م^(٣)

- أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكريا بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون الحميري الکتامي ، من أهل بيّاسة ، محدث ومقرئ روى عن أبي بكر بن خلف بن النفيس^(٤) وأبي الحجاج بن يسعون^(٥) وآخرون ، أخذ عنهم القراءات وسمع منهم ، روى عنه ابنه أبو بكر ، وكان مقرئاً

(١) هو أبو الحسين يحيى بن إبراهيم بن البياز مقرئ مجود، يروى عن أبي عمر المقرئ، روى عنه عيسى بن حزم بن اليسع وغيره، توفي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م، الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٩٧ ؛

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن عمر بن العرجاء المقرئ سكن مكة، وقصده القراء لعلو سنده، توفي في حدود سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٤٣٨/٣.

(٣) ابن الأبار، التكملة، ٢/٢٥٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٧/٢٤٤ ؛ معرفة القراء الكبار، ص ٢٨٢.

(٤) هو أبو بكر يحيى بن خلف بن النفيس الحميدي من أهل غرناطة محدث ومقرئ، له رحلة إلى المشرق، وتوفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، ابن الأبار، التكملة، ١٧١/٤.

(٥) هو أبو الحجاج يوسف بن يبقي بن يوسف بن مسعود بن عبد الرحمن بن يسعون التجيبي النُحوي من أهل المرية، كان إماماً بالعربية، وولي قضاء المرية وكانت وفاته بعد سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧، ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٩٧ ؛ ابن الأبار، التكملة، ٤/٢٠٨.

فاضلاً استقضي ببلده ، وولي الصلاة والخطبة بجامع بيّاسة^(١) ،
وكانت وفاته سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م^(٢) .

- أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زكرياء بن
عبد الله بن إبراهيم بن حسنون الحميري الکتامي من أهل
بيّاسة ، محدث ومقرئ ، روى عن أبي الحسن شريح بن
محمد وأبي محمد عبد الله بن بقي القيسي وغيرهم أخذ
عنهم القراءات وسمع منهم وولي قضاء بلده مع الصلاة
والخطبة بجامعه وكان مقرئاً فاضلاً ، توفي سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م^(٣) .
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عيسى بن صلتان
الأنصاري من أهل بيّاسة وسكن جيان ، محدث روى عن أبي
القاسم بن بشكوال^(٤) وأبي القاسم بن حبش^(١) وغيرهم ،

(١) عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٢٤٧/١.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٢٨/١٦.

(٣) ابن الأثير، التكملة، ٢٠٠/٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٠/٤٣؛ معرفة القراء
الكبار، ص ٣١٨.

(٤) هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة
بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي
الأندلسي، من أهل قرطبة وأصله من شريون بشرق الأندلس بحوز بلنسية،
سمع أباه وأبا محمد بن عتاب وأبا الوليد بن رشد وغيرهم، كان حافظاً حافلاً
إخبارياً ممتعاً تاريخياً مفيداً ذاكراً لأخبار الأندلس القديمة والحديثة
وخصوصاً لما كان بقرطبة، وألف حوالي خمسين تأليفاً في أنواع مختلفة،
أشهرها كتاب الصلة جعله ذيباً على كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن
الفرضي، وتوفي سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، ينظر: ابن الأثير، التكملة، ٢٤٨/١ - ٢٥٠ =

وكان محترفاً بالتجارة وقد عقد الوثائق وقتنا وكان عدلا مرضيا
يشارك في علم الفرض والحساب ، وتوفي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م أو
بعدها بيسير^(٢) .

- أبو بكر محمد بن أحمد بن حسان بن الريوالي البياسي ،
محدث له رحلة إلى المشرق ، وسمع بقرطبة عن أبي عبد الله
بن عابد^(٣) ، وبالمرية من المهلب بن أبي صفرة^(٤) ، تولى القضاء

=ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٢/٢٤٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٤/٣٧٩؛
الذهبي، العبر، ٣/٧٥-٧٦.

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبش
الأندلسي، فقيه محدث، ولغوي أديب نسابه حافظ لأسماء الرجال خطيب
مصنوع فاضل، توفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، ينظر: الضبي، يغبة الملتمس،
ص٣٥٧-٣٦٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨/١٥٤.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٢/١٣٣.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري محدث له
رحلة إلى المشرق كان معتنيا بالآثار والأخبار، ثقة فيما رواه وعنى به،
وكان خيرا فاضلا، دينا، متواضعا. متصاونا مقبلا على ما يعنيه، توفي سنة
٤٣٩هـ/١٠٤٧م، ابن بشكوال، الصلة، ص٥٠٢.

(٤) هو أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة الأسدي من أهل
المرية، سمع بقرطبة من أبي محمد الأصيلي، ورحل إلى المشرق وسمع من
أبي ذر الهروي وأبي الحسن القاسبي وغيرهم، وكان من أهل العلم والمعرفة
والذكاء والفهم، له كتاب في شرح البخاري، توفي سنة ٤٣٥هـ، ابن بشكوال،
الصلة، ص٤٨٥-٤٨٦.

- في بيّاسة ، توفي بعد سنة ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م^(١).
- أبو عبد الله محمد بن أمية النصري من أهل بيّاسة كان أستاذاً في الحساب توفي سنة ٥٩١هـ / ١١٩٤م^(٢).
- أبو بكر محمد بن أبي دوس البياسي النحوي ، قال ابن سعيد: جعله الحجاري من حسنات بيّاسة في علوم العربية ، وذكر أنه أولع بالتنقل والتغرب ، وأنه أقام مدة في خدمة المعتصم بن صمادح^(٣) بالمرية ، وهو من أهل القرن السادس الهجري^(٤).
- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلف الأنصاري يعرف بابن القفال كان عالماً بالعربية والآداب ، تولى الخطبة ببلده بيّاسة^(٥) وهو من أهل القرن السابع الهجري^(٦).
- أبو عبد الله محمد بن علي البياسي الغرناطي الأنصاري ،

(١) ابن بشكوال، الصلة، ص ٢٥٦.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ٧٠/٢.

(٣) هو أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح المرية لمدة طويلة وكان شاعراً أديباً وأصبح بلاطه ملتقى الشعراء والأدباء والعلماء في ذلك العصر، توفي سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م أثناء حصار المرابطين المرية. ابن الأبار، الحلة السّيرة، ٧٨/٢ - ٨٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٤ /٢ - ١٨٦.

(٤) المغرب، ٧٢/٢ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١٠٣/١.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ٢٢/٢.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٠٥/٣.

كان محدثاً عارفاً بعلم الحديث روى عن الحافظ أبي جعفر بن الزبير^(١) وغيره وقدم إلى القاهرة واستوطنها بعد الحج حتى توفي توفي بها سنة ٥٧٠٣هـ / ١٣٠٣م^(٢)..

- أبو بكر محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن إبراهيم بن حسنون الحميري الكتامي من أهل بياسة وصاحب الصلاة والخطبة ، أخذ القراءات عن أبيه وأبي الحسن شريح بن محمد^(٣) وأبي محمد عبد الله بن خلف بن بقي وسمع منهم ومن أبي بكر بن العربي^(٤)

(١) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي، أصله من جيان، قال ابن الخطيب: إليه انتهت الرئاسة بالأندلس في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير، وله كتاب صلة صلة على ابن بشكوال، توفي بغرناطة سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٧٢/١ - ٧٥.

(٢) المقرئ، نضح الطيب، ٥٩/٢.

(٣) هو أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني المقرئ: من أهل إشبيلية، كان من جلة المقرئين، معدودا في الأدباء والمحدثين، خطيبا بليغا، حافظا محسنا فاضلا، حسن الخط، واسع الخلق، سمع الناس منه كثيرا ورحلوا إليه واستقضى ببلده ثم صرف عن القضاء، توفي ببلده إشبيلية سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ٢٢٩- ٢٣٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٣١٨.

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي القاضي فقيه وحافظ وأديب، رحل إلى المشرق وتفقه هناك، وله تولى كثيرة منها كتاب أنوار الفجر، وكتاب أحكام القرآن في ستة أسفار وكتاب التلخيص في مسائل الخلاف=

وغيرهم ، ولي قضاء بلده بياسة وتصدر به للإقراء والإسماع حياته كلها وأخذ عنه الناس وكان مقرئاً جليلاً ماهراً ضابطاً موجوداً توفي في رمضان سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م^(١).

- أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الأندلس البياسي كان من المشهورين في صناعة الطب ، وتميز في العلوم الرياضية ، له رحلة إلى المشرق وسكن دمشق ، له كتب في الطب ، كما يعرف النجارة وعمل الآلات تتعلق بالهندسة وكان يعرف العود والموسيقى ، وتوفي بدمشق ، وكان من أهل القرن السادس الهجري^(٢).

- أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي ، قال ابن خلكان: أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين ؛ كان أديباً بارعاً فاضلاً ، مطلعاً على أقسام كلام العرب من النظم والنثر ، وروياً لوقائعها وحروبها وأيامها^(٣) ، له العديد من المصنفات منها: تاريخ ذيل به على تاريخ ابن حيان ، وكتاب

=وملجئة المتفقهين إلى معرفة غوامض النحويين وكتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس وغيرها، توتوي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، الضبي، بغية الملتبس، ص٩٣- ٩٩ ؛ ابن سعيد، المغرب، ١/٢٥٤- ٢٥٥ ؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٠٥- ١٠٧.

(١) ابن الأبار، التكملة، ٢/٩١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٣/٣٠٧ ؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ٢/٢٤١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٦٣٧.

(٣) وفيات الأعيان، ٧/٢٣٨.

الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام ، وكتاب تذكير
العاقل وتنبيه الغافل ، وكتاب الحماسة ، قال ابن سعيد: وهو
الآن عند سلطان إفريقية في حظوة وراتب شهري^(١) ، وكانت
وفاته سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م^(٢) .

(١) المغرب، ٧٣/٢ .

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣٨/٧ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٥٥/٢٩ ؛
الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٧٣/١٦ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،
٤٥١/٤ ؛ البغدادي، هدية العارفين، ٥٥٤/٢ .

الخاتمة

ببّاسة من المدن الأندلسية المهمة تقع قرب قرطبة على نهر الوادي الكبير ، اشتهرت بإنتاجها الزراعي ، فتحها المسلمون سنة ٩٢هـ / ٧١١م وأغلب سكانها بعد الفتح الإسلامي من العرب وبالأخص اليمانية منهم ، ولهذا لعبت دورا في أحداث الفتنة التي شبت بين القيسية واليمانية في عهد الولاة.

ولعل قربها من قرطبة جعلها محط أنظار الكثير من الطامعين ، فشهدت ساحتها صراعاً بين مختلف الثوار في الأندلس منذ الفتح حتى السقوط ، فخضعت لابن حفصون للمدة بين سنة ٢٦٧هـ / ٨٨٠م حتى سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ، وبعد سقوط الدولة العامرية سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م استولى عليها بنو يفرن ، ثم ضمها بنو جهور إلى دولتهم منذ سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م ، بعدها خضعت لحكم بني عباد منذ سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م واستمرت تحت نفوذهم حتى الفتح المرابطي لها سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م ، وفي أواخر العهد المرابطي استولى عليها بني مردنيش ثم استولى عليها النصاري سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م وبقيت

بأيديهم مدة حتى استرجعها الموحدون ، واستمرت تحت حكمهم حتى سقوطها بيد النصارى نهائياً سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م بسبب تخاذل حاكمها الموحد الذي سلمها إليهم دون مقاومة.

مصادر ومراجع مدينة بيّاستا

أولاً: المصادر

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)
- ١- التكملة لكتاب الصلاة، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م
 - ٢- الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.
 - ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
 - ٣- الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدميري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
 - الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
 - ٤- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
 - الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
 - ٥- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م.
 - ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ / ١٢٨٩م)
 - ٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت.
 - ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتري (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م)

- ٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م)
- ٨- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط٢، مطبعة الخانجي، ١٩٥٥م.
- البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ٩- المسالك والممالك، دار الغرب العربي، ١٩٩٢م.
- ابن بلقين، عبد الله (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٠- منكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق أ. ثيفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)
- ١١- غاية النهاية في طبقات القراء، نشر برجسترانس، مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ.
- ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب السلمى (ت ٢٣٨هـ / ٨٥٢م)
- ١٢- كتاب التاريخ، وضع حواشيه سالم مصطفى البدرى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)
- ١٣- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- ١٧- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)
- ١٤- جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت، ٢٠٠٤م.

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي ١٣١٠هـ/١٧١٠م)
- ١٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٠م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
- ١٦- المقتبس (للحقة ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/٨٨٨ - ٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
- ١٧- المقتبس (للحقة ٣٠٠ - ٣٣٠هـ/٩١٢ - ٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
- ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)
- ١٨- اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق ايميليو موئينا وخافينتو بوسيك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون العربي، مدريد ١٩٩٠م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
- ١٩- الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٠- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق إ- ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- ٢١- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
- ٢٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، ١٩٧١م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).
 ٢٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، د.ت.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)
 ٢٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٥- سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- ٢٦- العبر في خبر من غير، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٧- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٩٧م.
- الرقبيقي القيرواني، إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م).
 ٢٨- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي، تونس، ١٩٦٧م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت كان حيا سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)
 ٢٩- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٢م.
- الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي)
 ٣٠- الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- ابن سعيد، علي بن موسى (ت: ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
 ٣١- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م.
- ٣٢- الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، مطبعة المكتب التجاري، بيروت ١٩٧٠م.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)
- ٣٣- المخصص، تحقيق خليل إبراهيم حفال، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- ٣٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك (ت حوالي ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م)
- ٣٥- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٧٩م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)
- ٣٦- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ٢٠٠٠م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م)
- ٣٧- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت ٢٠٠٥م.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧٠م)
- ٣٨- فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م)
- ٣٩- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت، ١٩٧٣م
- ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م)
- ٤٠- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان وإ- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م، ج٢-٣،

- تحقيق إ- ليفي بروفنسال، بيروت، د.ت. وج ٤ تحقيق إحسان عباس، ط٣، بيروت، ١٩٦٧م، وقسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٥م.
- العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)
- ٤١- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٤٢- تاريخ دمشق، تحقيق عبد الله علي عاشور الجنوبي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن عسكر، أبو عبد الله بن عسكر (ت ٦٣٦هـ / ١٢٢٨م)، وابن خميس، أبو بكر بن خميس (ت بعد ٦٣٩هـ / ١٢٤١م)
- ٤٣- مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي
- ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الأمان، الرباط، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)
- ٤٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه، عبد القادر الأرنؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البيلنسي (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)
- ٤٥- قطعة من كتاب فرحة الأنفس عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٥٦هـ.

- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (ت ١٣٤٨هـ/١٧٤٩م)
- ٤٦- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبوظبي، ١٤٢٣هـ.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).
- ٤٧- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد الكتاني (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)
- ٤٨- نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان، المغرب، ١٩٦٥م.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)
- ٤٩- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)
- ٥٠- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزي (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٥١- تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧١م.
- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).
- ٥٢- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م).
- ٥٣- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)

- ٥٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٣٨٧هـ / ٩٩٧م).
- ٥٥- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع هوامشه محمد مخزوم، بيروت، ١٩٨٧م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)
- ٥٦- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.
- الملك الأشرف الغساني، عمر بن يوسف بن عمر بن رسول الغساني التُّركُماني (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)
- ٥٧- المعتمد في الأدوية المفردة، قدم له وعلق عليه مجدي محمد الشهاوي، د. ت.
- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد النباهي المالقي الأندلسي (ت ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)
- ٥٨- تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، طه، بيروت، ١٩٨٣م.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٥٩- نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)
- ٦٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي
(ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٦١- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين
الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/
٩٠٤م)
- ٦٢- البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
ثانياً: المراجع الحديثة
أشباح: يوسف
- ٦٣- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد
الله عنان، القاهرة ١٩٤١م.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م)
- ٦٤- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث
العربي، بيروت.
حاتمة، محمد عبده
- ٦٥- ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، عمان، ١٩٩٦م.
السلاوي، أحمد بن خالد الناصري
- ٦٦- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر
الناصرى ومحمد الناصري، الدار البيضاء ١٩٥٤م.
شليبي، محمود
- ٦٧- حياة طارق بن زياد، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
طه، عبد الواحد ذنون.
- ٦٨- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس،
منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م
عنان، محمد عبد الله.

- ٦٩- دولة الإسلام في الأندلس، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.
كراتشوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش
- ٧٠- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان
هاشم، القاهرة، ١٩٦٣م.
مؤنس، حسين.
- ٧١- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى
قيام الدولة الأموية ٩٢- ١٣٨هـ/ ٧١٠- ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.
- هنتس، فالتر
- ٧٢- المكييل والأوزان الإسلامية وما يعادتها في النظام المترى، ترجمة
كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠م

مدينة أستورقة الأندلسية في العصر الإسلامي

(٩٤ - ٥٣٩٠ / ٧١٢ - ٩٩٩ م)

المقدمة

تقع مدينة ستورقة في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية ، إلى الشمال من نهر دويرة في منطقة جبلية وعرة ، وكانت تلك المنطقة ملجأ الفارين من القوط أمام الفاتحين العرب ، وقد أدرك القائدان موسى بن نصير وطارق بن زياد أهمية تلك المنطقة فسابقا الزمن من أجل السيطرة عليها وذلك بسبب ضغط الخلافة عليهم آنذاك بضرورة التوقف والعودة ، وبذلك كانت أستورقة آخر نقطه توقفا عندها قبل أن يُرغما بالعودة إلى دمشق.

وعلى الرغم من قصر مدة حكم المسلمين لها (٩٤ - ١٣٦هـ / ٧١٢-٧٥٣م) إلا أن تلك المدة كانت مليئة بالأحداث المهمة والمشيرة في تاريخ المنطقة ، كما أنها استمرت حتى بعد سقوطها هدفاً عسكرياً لمختلف القادة المسلمين حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وسوف نسلط الضوء في هذا البحث على موقع المدينة وأهميته ، ثم فتح المسلمين لها واستيطانهم بها ، ودورها في التصدي لحركات المقاومة النصرانية التي انطلقت من محيطها ، ثم سقوطها ومحاولات المسلمين استرجاعها التي استمرت حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

أولاً: الجغرافية التاريخية لمدينة أستورقة Astorga

ورد اسم المدينة في المصادر العربية باسماء مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظة (أسترفة ، أو أشترقة ، أو أستورقة ، أو أستورقة ، أو أشترقية ، أو أستورة)^(١).

وأشارت المصادر إلى أنها مدينة قديمة^(٢) ، وهذه اللفظة تدل على إنها كانت موجودة قبل الإسلام^(٣) ، إذ ذكر أرسلان من إنها كانت مركزاً لجنوبي أستوريس^(٤) Asturias^(٥) ، ولعل ذلك يدل على أن بناؤها يرجع إلى عهد الرومان الذين دخلوا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية

(١) ينظر الألفاظ أعلاه: مجهول، أخبار مجموعة، ص ٣٩، ٦٢؛ ابن حيان، المقتبس، ص ٣٤٤؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص ٢٢؛ البكري، جغرافية، ص ٦١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣١/٢؛ مجهول، تاريخ الأندلس ص ٤٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٣٨-٣٩؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص ٦١.
(٣) يسمى الجغرافيون العرب المدينة التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية أما التي أنشأها المسلمون بالمدنثة.

(٤) منطقة تقع في شمال غرب شبه جزيرة أيبيريا، ويبدو إنها كانت تابعة لمنطقة جليقية Gallaecia، وفيها جبال وعرة، ومناخها قاس، ينظر: ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ١١٢.

(٥) التحلل السنديسية، ٥٨/٢.

Iberia في حدود سنة ٢١٨ ق. م^(١).

ويبدو أن المدينة والمناطق المحيطة بها ، أصبحت جاذبة للسكان ، إذ وصفها الإدريسي بأنها مدينة متحضرة^(٢) ، كان يحيط بها جبال يسكنها جيل من الناس يقال لهم المغاراتوس Magaratos يُظن أنهم أقدم سلالة للأمة الأيبيرية ، وهم أهل نشاط ذوو زراعة وصناعة ، ولكنهم على أشد ما يكون من المحافظة على عاداتهم القديمة ، ولهم أزياء خاصة بهم ولا يتزوج بعضهم إلا من بعض^(٣) .
تقع مدينة أستورقة شمال غرب شبه الجزيرة الأيبيرية^(٤) ، وهي من مدن أستوريس^(٥) ، إذ تبعد عن مدينة ليون Leon^(٦) مرحلة^(٧) ، مرحلة^(٧) ، ومنها إلى جبل منت راد اثنا عشر ميلا^(١) ، تبعد عن

١) عندما بسط الرومان نفوذهم على شبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٢١٨ ق. م ، ومنذ ذلك العهد أصبحت شبه جزيرة أيبيرية ولاية رومانية ، وقد صيغ الحكم الروماني تلك البلاد بصيغته التي ظلت أهم خصائصها حتى الفتح الإسلامي ، ينظر: العلياوي، البشكنس ، ص ٣٧ .

٢) نزهة المشتاق، ٧٣١/٢ .

٣) أرسلان، الحلل السندسية، ٥٩/٢ .

٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ص ٨٠ - ٨١ .

٥) أرسلان، الحلل السندسية، ٥٨/٢ .

٦) تقع مدينة ليون إلى الشمال الشرقي من مدينة سمورة Zamora في شمال الأندلس بالقرب من أحد روافد نهر دويرة Rio El Duero . ينظر: أبو الفدا، تقويم البلدان ، ص ١٥٨ .

٧) المرحلة تعادل أربعة وعشرون يوماً أي ما يعادل ٣٧ كم ونصف وفي حالة السير السريع ٤٦ كم ، ينظر: كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ٩٧٢/٢ .

جبل منت فبرير اثنا عشر ميلاً ، وتبعد عن مدينة شنت ياقب Santiago de Compostela^(٢) ثلاثة أيام^(٣).

واستناداً إلى تنظيمات الإمبراطور الروماني دقلديانوس Diocleitian (٢٨٤-٣٠٥م) في نهاية القرن الثالث الميلادي ، الذي قام بتنظيم ولايات شبه الجزيرة الأيبيرية ، فقسمها إلى ست ولايات ، وجعل مدينة أستورقة في الجزء الثاني الذي يشمل أيضاً مدينة براقة Braga وهو حوز جليقية Gallaecia وشلطيانة Celtiana وهو بلد ابن غومس^(٤) Beni Gomez ، وجعل لها اثنتي عشرة مدينة مما حوالها ، ومنها مدينة برطقال (برتقال) Portugal ، ومدينة تودي Tuy ومدينة أرية Auria ، ومدينة لك Lugo ، ومدينة برطانية Bretagne^(٥) ، ومدينة أستورقة ، ومدينة شنت ياقب ، وهي مدينة كنيسة الذهب ولها يوم يرد فيه من افرنجة ومن روما ومن جميع

-
- ١ (الميل يساوي ٢ كم، ينظر: هنتس، المكايل والأوزان ،ص ٩٥ .
 - ٢ (وهي إحدى الأماكن المقدسة الواقعة في قشتالة Castilla، إذ كانت مزاراً للأوروبيين والأسبان، وحظيت بمكانة كبيرة لأنها تضم كنيسة شنت ياقب حيث مرقد القديس سنتياجو، ينظر: الحميري، صفة، ص ١١٥ - ١١٦ .
 - ٣ (الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣١/٢ .
 - ٤ (وهو من أسرة بني غومس التي كونت إمارة مستقلة في عهد الخلافة الأندلسية شرق مدينة ليون، وكان منها شلطانيا Saldana، ينظر: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ٢، ص ٥١٠ .
 - ٥ (مدينة أندلسية تتصل أحوالها بأحوال مدينة لاردة Lerida، ومن مدنها بريشتر Barbastro، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٧ .

نواحيهم كلها ، ومدينة أيربة Iria ، ومدينة بقطة Baetica ، ومدينة
شارة Sarria^(١) .

اشتهرت مدينة أستورقة بوجود الأشجار فيها وبخاصة شجر
الصفصاف ، أو الحور وهو شجر عريض الأوراق^(٢) ، كما تميزت
بمناعة حصونها وأسوارها ، ولا تزال أسوار أستورقة ماثلة^(٣) ، إذ
كانت تضم في العصر الروماني ثمانين إلى تسعين برجاً^(٤) ، وقد علق
على ذلك العذري بقوله ((ومدينة سرقسطة^(٥) أستورقة في البنية
والصناعة والإتقان والحصانة لا تعرف مدينة ثالثة تشبههما...))^(٦) .

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة أستورقة:

بعد فتح مدينة سرقسطة Zaragoza سنة ٩٤هـ / ٧١٢م من قبل
القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد ، قرر موسى أن يفتح
مناطق قشتالة القديمة Castell la Vieja في السنة نفسها ، فقسم
جيشه إلى قسمين ، كان الأول بقيادة طارق بن زياد ، أما الثاني

١ (البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٠ - ٦١ .

٢) سيمون، عبد الرحمن الداخل صقر قريش، ص ١١٦ - ١١٧ .

٣) أرسلان، التحلل السندسية، ٥٨/٢ - ٥٩ .

٤) كحيلية، الخصوصية الأندلسية، ص ٤٩ .

٥) سرقسطة Zaragoza مدينة تقع في شمال شرق الأندلس، عرفت بالمدينة
البيضاء لكثرة حصنها وجيارها، ولها أسوار منيعة، وتشتهر بإنتاج الفواكه،

ينظر: الحميري، صفة، ص ٩٦ - ٩٨ .

٦) نصوص عن الأندلس، ص ٢٢ .

فكان بقيادة موسى نفسه^(١) ، وسار طارق بمحاذاة الجهة الشمالية لوادي نهر الابرو Ebro ، فهاجم منطقة البشكنس^(٢) Bascons ، ثم افتتح أمية Amaya ، واستورقة وليون^(٣) .

أما موسى فقد مضى ببقية الجيش إلى الجنوب من وادي نهر الابرو ، فتمكن من فتح مدينة لك ، ومنها أرسل عدة حملات صغيرة لافتتاح المناطق المجاورة حتى صخرة بلاي^(٤) Pena de

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٠٤ ؛ سالم تاريخ المسلمين، ص ١٠٢ - ١٠٣ ؛ الحجي، أندلسيات، ١/٣٣ - ٣٤ .

(٢) تقع بلاد البشكنس شمالي شبه جزيرة أيبيرية، وهو إقليم يمتد عبر جبال البرت الغربية على الحدود ما بين فرنسا وأسبانيا، حتى شاطيء خليج بسكاي، ينظر: البكري، جغرافية، ص ٧٩ ؛ غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ١٧٢٩/٢ ؛ العلياوي، البشكنس، ص ١١ .

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥ ؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥ ؛ المقرئ، نوح الطيب، ١/٢٦٥ ؛ ولزبد من التفاصيل عن فتح المنطقة ينظر: طه، الفتح والاستقرار، ص ١٨٢ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى، ٨٠ - ٨٤ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ١٠٣ .

(٤) اختلفت الآراء في شأنه، فمنهم من جعله ابن دوق فافيل حاكم كانتبريه كانتبريه Cantabria، أو من أصل قوطي نبيل، ومنهم من جعله من سكان جليقية، وذكر أنه وقع في قبضة المسلمين واحتجز في قرطبة Cordoba، ولكنه فيما يبدو تمكن من الهرب منها سنة ٧٩٨هـ / ٧١٦م فقصد منطقة أستوريس في مكان يدعى كانجادي أونيس Cangas، إذ جمع بقايا القوط الغربيين وقسم من الأيبيريين والرومان الساكنين في هذه المنطقة، ومن = مقره هناك بدأ بالتحريض ضد المسلمين، فتعقبه منوسة

Pelayo ، وخیخون Gijon على المحيط الأطلسي^(١) ، وفي أثناء هذه الحملات كان كلا من موسى وطارق يقومان بوضع حاميات إسلامية في المناطق المحررة^(٢) ، وفي رواية لابن القوطية أن موسى وطارق التقيا باسترقة إذ قال أن موسى تقدم ((... فدخل جليقية من فج هو منسوب إليه ، فخرقها حيث دخلها ، ووافى طارقاً باسترقة ، ثم أتاهما عهد الوليد بن عبد الملك بالانصراف ، فانصرفا ،...))^(٣) وفي ابن الأثير أن طارق بن زياد عندما فتح طليطلة اخترق أرض جليقية حتى وصل إلى استرقة ثم رجع إلى طليطلة حيث وافاه موسى بها^(٤) ، وأضاف ابن الأثير قائلاً أن موسى وطارق وافهما رسول الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤م) بالقفول وهما عند مدينة لك في جليقية^(٥) ، وذكر المقرئ إن رسول

القائد البربري المسلم، ولكن بلاي وأتباعه لاذوا في منطقة الصخرة، لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن عذارى، البيان المغرب، ٢/٢٩؛ المقرئ، نوح الطيب، ٤/٣٥٠ - ٣٥١؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٥٠، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ١، ص ٨٤.

- ١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/٢٧٦؛ المقرئ، نوح الطيب، ١/٢٧٦.
- ٢) طه، دراسات أندلسية، ص ٢١.
- ٣) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٥؛ ينظر أيضاً: المقرئ، نوح الطيب، ١/٢٧١.
- ٤) الكامل في التاريخ، ٤/٢٧٥ - ٢٧٦؛ ينظر أيضاً: المقرئ، نوح الطيب، ١/٢٦٥.
- ٥) المصدر نفسه، ٤/٢٧٦؛ يشكك السامرائي بوصول طارق بن زياد إلى جليقية قبل وصول موسى إليه بالقول إن ذلك (الأمر الذي يصعب =

الخليفة وافى موسى وأمره بالقفول ((...لم يكن في الأندلس بلد لم تدخله العرب إلى وقته ذلك غير جليقية ، فكان شديد الحرص على اقتحامها ، فلاطف موسى مغيثاً رسول الخليفة ، وسأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في الدخول إليها والمسير معه في البلاد أياماً ويكون شريكه في الأجر والغنيمة ، ففعل ، ومشى معه حتى بلغ المفازة ، فافتتح حصن بارو وحصن لك ، فأقام هناك ، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الأخضر ، فلم تبق كنيسة إلا هدمت ، ولا ناقوس إلا كسر ، وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية ، وسكنت العرب المفاوز ، وكان العرب والبربر كلما مرّ قوم منهم بوضع استحسونه حطّوا به ونزلوه قاطنين ، فاتسع نطاق الإسلام بأرض الأندلس ، وخذل الشرك ، وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول ، وكتب إليه يوبخه ، ويأمره بالخروج ، وألزم رسوله إزعاجه ، فانقلع حينئذ من مدينة لك بجليقية...))^(١).

وعليه فأن القائدين موسى وطارق قد أتما فتح شبه جزيرة أيريا باستثناء بعض الأجزاء من أستوريس وجليقية في أقصى الشمال الغربي التي لم يتعرفا على طبيعتها الجغرافية فاكتفيا بأخذ الجزية

=تصديقه، بسبب اطلالة الشتاء وصعوبة تضاريس المنطقة) تاريخ العرب،

ص ٣٧.

(١) نفع الطيب، ١/٢٧٥ - ٢٧٦.

من أهلها ، وبخاصة إن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان قد طلب منهما عدم مواصلة العمليات العسكرية والقدوم إليه^(١).

ويبدو أن بقاء بعض الجيوب التي لم يتهدأ للمسلمين الدخول إليها بسبب وعورتها وأوامر الخلافة للقادة بالعودة قد أثر على سلطتهم هناك وجعل قبضتهم على المناطق التي وقعت في أيديهم مثل مديني أستورقة ولك رخوة وغير محكمة ، وهو ما أثر سلباً فيما بعد على استمرار حكمهم لها والمناطق القريبة منها ، كما إن تلك المناطق أصبحت في الوقت نفسه ملاذاً لأعدائهم والهاربين من مطاردتهم ، ما جعلها تشكل النواة الأولى للمقاومة النصرانية^(٢).

استقر عدد من العرب في منطقة أستورقة ، إلا أن المصادر التي بين أيدينا لم تسعفنا بأسماء القبائل العربية التي قطنت هناك ولعلمهم كانوا من جند موسى بن نصير ، ويبدو أن قلة أعدادهم بالقياس للبربر ثم قصر مدة مكوثهم فيها كان السبب في ذلك ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى سكنى العرب في أستورقة في حديثه عن الصراع الذي دار بين العرب والبربر في عصر الولاة قائلاً ((...أن بربر الأندلس لما بلغهم ظهور بربر العدو على عربها وأهل الطاعة ، وثبوا في أقطار الأندلس ، فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم ، وأخرجوا عرب أستورقة والمدائن التي خلف الدروب ، فلم يرع ابن قطن إلا

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٦.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ١٢/٢ - ١٣ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص ١٨٣.

فلهم قد قدم عليه...))^(١).

أما القبائل البربرية فهناك إشارات عديدة تدل على أن غالبية المستقرين هناك كانوا من البربر، فأوضحت أن بعضهم سكن في الشمال الغربي من الأندلس وكانت استورقة وجليقية وشرطانية Cerrtania غربي جبال البرت من أهم أماكن استقرارهم^(٢).

وفي تلك المدة ظهرت المقاومة النصرانية بعد أن تزعمها بلاي (ت ١٣٣هـ / ٧٥٠م)، وقد اتخذ من هضاب استوريس في الشمال الغربي مقراً له، وتحصن هؤلاء في مغارة تسمى كوفادونجا Covadonga الواقعة في سلسلة جبال كانتبريه، وأطلق المسلمون على مكانهم اسم صخرة بلاي وحددوها في جليقية^(٣).

ومن هذا المكان أخذ بلاي بالتوسع وشن هجماته على القوات الإسلامية القريبة منه وبخاصة على منطقتي شمال نهر دويرة^(٤) Rio El Duero وأستورقة، لذلك حين عين الولي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ / ٧٣٤-٧٤٠م) وجه قواته إلى قتال بلاي وكانت

(١) أخبار مجموعة، ص ٣٨.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٣٨-٣٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/٢-

٣١؛ وينظر أيضاً: طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٨.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٩/٢.

(٤) وهو من الأودية الأربعة التي تصب في المحيط وهي وادي مينو **Rio mino**، وتواجهه **Tajo**، وأنه **Guadiana**، وهو ينحدر من جبال قشتالة القديمة ويصب عند البرتغال **Portugal** في بورتو غربي الجزيرة، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٦٧/٢.

بقيادة علقمة اللخمي سنة ١١١٨هـ / ٧٣٦م ، وقد انضم إلى هذه القوات أهالي مدينة استورقة وتمكنوا من محاصرة بلاي وأتباعه في مغارة كوفادونجا ، إلا إن الأمور لم تسير في صالح المسلمين لأن أعداءهم انتصروا عليهم ، وارتد المسلمون إلى استورقة بعد أن قتل قائدهم علقمة اللخمي^(١) .

وفي هذا الأثناء نشب صراع داخلي بين المسلمين في الأندلس كانت له أبعاده المباشرة على الأوضاع في جليقية ، إذ حدث صراع بين العرب والبربر ، وساهم في هذا الصراع مشاركة بربر مدينة أستورقة مع أبناء جلدتهم بربر المناطق الشمالية في الأندلس ، إذ ثاروا ضد العرب في ولاية عبد الملك بن قطن الثانية سنة ١٢٣هـ / ٧٤٠م ، وكانت المشاركة البربرية كبيرة إذ ضمت بربر جليقية واستورقة وماردة^(٢) Merida وقورية^(٣) Coria وطلبيرة^(٤)

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٩؛ وينظر أيضاً: مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٣٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص ٢٠٩ ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٦٩ .

(٢) مدينة تقع غرب الأندلس وتبعد عن مدينة بطليوس Badajoz عشرين ميلاً، ولها عدة حصون، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢١ ؛ الحميري، صفة، ص ١٧٥ - ١٧٧ .

(٣) مدينة أندلسية قديمة قريبة من ماردة، تعد من أحصن المعاقل وتشتهر بإنتاج الفواكه وبخاصة العنب والتين، ينظر: الحميري، صفة، ص ٦٤ .

(٤) مدينة أندلسية تقع على نهر تاجه وهي أقصى ثغور المسلمين وتبعد عن طليطلة Toledo سبعون ميلاً، ينظر: الحميري، صفة، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

Talavera^(١) ، ولعل من أسباب ثورة البربر هذه على العرب في الأندلس - كما أشار مؤنس - هو أن الأخيرين استبدوا دونهم بخيرات البلاد ، فضلاً عم استبدادهم بأمر الحكيم واعتبار البربر شعباً محكوماً لا ينبغي أن يترك له نصيب في الحكم أو الإدارة ، وبالمقابل لم يكن البربر يعدون أنفسهم بأقل من العرب ديناً ولا كفاءة ولا فضلاً ، فقد تحملوا أعباء الفتح ، وما زاد في الأمر استبداد القيسية بالأمر ، إذ كان القيسيون قوماً ذوي عصبية شديدة ، لا يكادون ينظرون لغيرهم نظرتهم إلى ناس مثلهم^(٢) .

وذكر مؤلف مجهول سبباً آخر لثورة البربر في الأندلس هو أن عدوى الثورة امتدت إلى الأندلس لما سمع بربرها بظهور بربر العدو وتمكنهم فوثبوا بعرب جليقية وعرب أستورقة وأخرجوهم من بين ظهرانيهم^(٣) .

ولم يكتف البربر بإخراج العرب من مناطقهم ، بل جمعوا قوات كبيرة أخذت بالتقدم ، وعبرت نهر تاجه باتجاه الجنوب لمواجهة قوات الوالي عبد الملك بن قطن ، فتقدمت نحو مدينة طليطلة^(٤)

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) فجر الأندلس، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) أخبار مجموعة، ص ٣٨ .

(٤) مدينة أندلسية تعد قاعدة مهمة في منطقة الثغر الأوسط، ومركزاً لجميع بلاد الأندلس، وهي تبعد عن مدينة وادي الحجارة Guazalete خمسة وستون ميلاً، ينظر: الحميري، صفة، ص ١٣٠ - ١٣٥ .

Toledo وحاصرتها^(١)، وعلى اثر ذلك استعد الوالي عبد الملك بن قطن بقواته، وقد انضمت إليه طالعة بلج القشيري^(٢) لمواجهة قوات البربر المتواجدة في طليطلة بالقرب من وادي سليط Guazalete، ودارت مواجهة بين الطرفين انتهت بانتصار العرب على البربر وتكبيدهم خسائر كبيرة^(٣)، وقد علق مؤلف مجهول على هذه الأحداث بقوله ((... وحشدوا من جليقية وأستورقة وماردة وقورية وطلبيرة فاقبلوا في شيء لا يحصيه عدد حتى أجازوا نهر يقال له تاجه يريدون عبد الملك بن قطن وأخرج إليهم عبد الملك ابنه قطناً وأمياً في عرب الشام أصحاب بلج وعرب البلد فلما بلغ البربر إقبال الجيوش إليهم حلقوا رؤوسهم اقتداءً بميسرة^(٤) ولكي لا يخفى أمرهم

(١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٠.

(٢) هو بلج بن بشر القشيري كان قد أرسله الخليفة هشام بن عبد الملك مع كلثوم بن عياض القشيري لمحاربة البربر الثائرين في المغرب، وبعد هزيمة جيشهم حاصر البربر بلج مع قواته الشامية في سبة، ولما ثار بربر الأندلس استعان واليها عبد الملك بن قطن بقوات بلج لمساعدته على إخماد الثورة فعبر إلى الأندلس وحقق نجاحات كبيرة ثم ثار على عبد الملك وتولى الأندلس مكانه وبقي سنة حتى ثار عليه ابني عبد الملك وقتلاه وذلك سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠/٢ - ٣١.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٤٠.

(٤) ميسرة المطغري كان رأس الخوارج الصفرية في بلاد المغرب ثار على الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب السلوي سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م واستطاع هزيمة الجيش الأموي هناك، إلا أنه تراجع أخيراً أمام الجيش الأموي مما =

وليضربوا ولا يختلطوا ثم أقبلوا إلى مدينة طليطلة وصمد عبد الملك بن معه وأمّية بمن معه صدهم فالتقوا في أرض طليطلة على وادي سليط فاقتتلوا قتالاً شديداً وأقبل أهل الشام عليهم حنقين ، فقاتلوا قتال مستبسلين فمنحهم الله أكتاف البربر فقتلوهم قتلاً ذريعاً أفنّوهم به فلم ينج منهم إلا الشريد فركب أهل الشام ولبسوا السلاح ثم فرقوا الجيوش في أرض الأندلس فقتلوا البربر حتى أطفؤا جمرتهم...))^(١).

ويبدو أن النصارى بزعامة بلاي قد استغلوا الخلافات الداخلية التي نشبت بين المسلمين لتوسيع مناطق نفوذهم وإحكام سيطرتهم على العديد من المناطق الحدودية واسترجاعها^(٢) ، وعلى ما يبدو كانت مدينة أستورقة هدفهم الأساسي لأنها تشكل النقطة المتقدمة للمسلمين في الشمال الغربي ومصدر قوتهم ، إذ كان المسلمون يشنون هجماتهم من هذه المدينة بالإضافة إلى المناطق القريبة منها الخاضعة للمسلمين على قوات بلاي وجماعته والتي استمرت مدة من الزمن ، وقد أشار مؤلف مجهول إلى ذلك بقوله ((...ثم غزاه المسلمون من جليقية وغزاه أهل أستورقة زماناً طويلاً حتى كانت

حدى باتباعه إلى تحميله مسؤولية ذلك فقتلوه وولوا مكانه خلد بن حميد

الزفاتي، ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٧٣ - ٧٤.

(١) أخبار مجموعة، ص ٤٠.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٥٩ - ٦٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٥/٢ -

٣٨.

فتنة أبي الخطار^(١) وثوابه^(٢) ...))^(٣).

ويبدو أن هدف بلاي خلال هذه المرحلة هو الاحتفاظ بمناطق نفوذه وحمايتها من هجمات المسلمين ، ومنتظراً الفرصة المناسبة لمهاجمة المسلمين المتواجدين بالمناطق القريبة من حدود منطقته ، ومنها مدن أستورقة وليون وشتت ياقب ولك وأقش ، وهو ما عناه المقرئ بقوله ((...سما بهم - يقصد النصارى أتباعه - إلى طلب الثأر ، ودافع عن أرضه ، ومن وقته أخذ نصارى الأندلس في مداقعة المسلمين عما بقي بأيديهم من أرضهم والحماية عن حريمهم...))^(٤).

إن المتغيرات الجديدة التي حدثت في الأندلس خدمت بلاي في ما كان يرمي إليه ، فقد سادت فترة من الاضطراب السياسي في

(١) هو أبو الخطار الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي ولي الأندلس بعد قتل عبد الملك بن قطن ومبايعة أهلها ثعلبة بن سلامة، وكانت توليته من قبل والي افريقية حنظله بن صفوان الكلبي سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م وعزل سنة ٢٨هـ / ٧٤٥م، ثم قتل في الحرب التي جرت بين القيسية واليمانية في موقعة شقندة سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م. ينظر ترجمته: الحميدي، جنوة المقتبس، ص ١٩٧ - ١٩٨ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/ ٦١ - ٦٦.

(٢) ورد اسمه عند مؤلف مجهول وابن عذارى ثوابه بن سلامة الجذامي ولي الأندلس أكثر من سنة وذلك سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م، أخبار مجموعة، ٥٧ ؛ البيان المغرب، ٢/ ٣٥ ؛ وعند المقرئ ثوابه بن يزيد الجذامي، نضح الطيب، ٣/ ٣٠٢..

(٣) أخبار مجموعة، ص ٦١ - ٦٢.

(٤) نضح الطيب، ٣/ ١٧.

الأندلس ، وبخاصة الصراع القبلي الشديد الذي حدث بين القيسية واليمانية^(١) ، إذ كان لهذا الصراع آثار سلبية على وضع المسلمين في شمال الأندلس بينها العمائرة في بعض النقاط منها:

- ١- أودى بحياة كثير من المقاتلين المسلمين
- ٢- أدى إلى تفريغ كثير من المدن الشمالية من سكانها مثل أستورقة وليون ولك وأقش وسمورة Zamora^(٢).
- ٣- أشغل الجيش الإسلامي عن القيام بهدفه الرئيسي وهو محاربة القوات النصرانية.
- ٤- أضعف من قوة الجيش الإسلامي في الشمال مما شجع بلاي على محاربه^(٣).

ومما زاد من حراجة موقف المسلمين في المناطق الشمالية هو المجاعة التي أصابت المنطقة سنة ١٣١هـ/٧٤٨م واستمرت حتى سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م والتي أجبرت أهلها المسلمين على الهجرة إلى مناطق أخرى^(٤).

(١) ينظر التفاصيل عن ذلك الصراع الذي استمر للمدة بين ١٢٣ - ١٣٨هـ / ٧٤٠ - ٧٥٥م)؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٢٧٧ - ٣٠٠.

(٢) مدينة أندلسية تقع في الضفة الشمالية من نهر دويرة كانت تشكل نقطة صراع بين المسلمين والنصارى حتى خرجت نهائياً عن حكم المسلمين في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بنظر: العذري، نصوص عن الأندلس، ٧٧، ٧٩؛ البكري، جغرافية، ص ٧٦ - ٧٨؛ الحميري، صفة، ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص ٣٥.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٢؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ٣٨/٢؛ وينظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين، ص ١٦٤.

معظم هذه الأسباب أضعفت من موقف المسلمين وشجعت بلاي على استرجاع بعض المدن المخاذية لمناطق نفوذه ، وبخاصة بعد انتصاره على المسلمين في معركة كوفادونجا سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م في عهد الوالي يوسف الفهري (١٢٩-١٣٨هـ / ٧٤٦-٧٥٥م)^(١) ، إذ تمكن بلاي في تلك السنة من استرداد بعض المدن في جليقية وتشريد أهلها إلى مدينة أستورقة ، وقد علق على ذلك مؤلف مجهول بقوله ((فلما كان في سنة ثلث وثلثين هزمهم وأخرج عن جليقية كلها وتنصر كل مذبذب في دينه إلى خلف الجبل إلى أستورقة...))^(٢).

ويبدو أن أستورقة أصبحت الحاضنة الأساسية للمسلمين في الشمال الاسباني ، إلا أنها أيضاً لم تدم طويلاً ، إذ سرعان ما تم استرجاعها ، وبخاصة بعد التغييرات التي حدثت في الدويلات النصرانية ، فبعد وفاة بلاي سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م قام اتحاد بين إمارتي كانتبريه واستوريس في حكومة واحدة أطلق عليها المؤرخون المسلمون جليقية^(٣) ، إذ تزوج الفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي Alfonso I (١٢١-١٤٠هـ / ٧٣٨-٧٥٧م) من ابنة بلاي أرمسندا Ermesinda سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م^(٤) ، وكان هذا الاتحاد يمتد من المحيط

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٦٣؛ المقري، نضح الطيب، ٤/٣٥١.

(٢) أخبار مجموعة، ص ٦٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ٣٢٣؛ وينظر أيضاً: الحجوي، أندلسيات،

٤٢/٢.

(٤) المصدر نفسه، ق٢، ٣٢٣.

الأطلنطي غرباً حتى بلاد البشكنس شرقاً ، ومن مضيق بسكاي شمالاً إلى نهر دويره جنوباً ، وقد عد الفونسو الأول المؤسس الحقيقي للمملكة النصرانية ، لأنها توسعت وزاد نفوذها السياسي وقوتها في عهده.

كانت أولى المهام التي واجهته هي كيفية استرجاع المدن التي بقيت بيد المسلمين وبخاصة مدينة أستورقة ، لما تشكله هذه المدينة من خطورة على النصرارى الأسباب ، وفعلاً تمكن من إزاحة ونفي المسلمين الذين كانوا يسكنون جليقية وأستورقة عن هاتين المدينتين إلى مناطق الجنوب سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م^(١).

وقد أوضح ذلك مؤلف مجهول بقوله ((...فأخرجوا أيضاً المسلمين عن أستورقة وغيرها وانضم الناس إلى ما رواء الدرب الآخر والى قورية وماردة في سنة ست وثلثين...))^(٢).

وبذلك انتهت سيطرة المسلمين على مدينة أستورقة سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م ، وأصبحت المدينة خاضعة لسيطرة النصرارى ، وقد حاول المسلمون استرجاعها مرات عدة لأهميتها ، وهو ما يفتح عهداً جديداً بالنسبة لعلاقة المسلمين بها.

كانت أولى الحملات العسكرية لمدينة أستورقة في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الأول (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) ، إذ أرسل الأمير حملة عسكرية لمدينة أستورقة سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م بقيادة عبد

١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٦٢ ؛ العلياوي، البشكنس، ص ٤٩.

٢) أخبار مجموعة، ص ٦٢.

الكريم بن عبد الواحد بن مغيث^(١) واستطاع من دخول المدينة ، مما اضطر أمير جليقية الفونسو الثاني Alfonso II (١٧٥-٢٢٧هـ / ٧٩١-٨٤١م) إلى طلب المساعدة من البشكنس^(٢).

وقد أخذت القوات النصرانية مواقعها بقيادة الفونسو الثاني في مكان بين جليقية والصخرة ، وقد أذن الفونسو لسكان السهل بالفرق في شواحق جبال السواحل^(٣) ، وعلى إثر ذلك أوعز القائد عبد الكريم إلى فرقة الخيالة بقيادة الفقيه الفرج بن كنانة^(٤) في أربعة آلاف فارس لملاحقة الفونسو الثاني ، وقد اصطدمت قوات الفرج بقوة من الجيش النصراني الذي كان متواجدا في إحدى الممرات الجبلية أسفر عن نصر للقوات الإسلامية^(٥) ، وقد علق على ذلك

(١) وهو من أكابر قواد الدولة المروانية خدم كلاً من الأمراء هشام والحكم الرضي وعبد الرحمن الأوسط، وكان شاعراً بليغاً تولى بطريقه إلى جليقية سنة ٢٠٩هـ / ٨٢٤م، ينظر: ابن حيان، المقتبس، ص ١٠٣ - ١٠٥ ؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ١/١٣٥ - ١٣٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٨٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٢٩٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٤ ؛ النويري، نهاية الإرب، ٢٢/٧٦ - ٧٧ ؛ وينظر: أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٦٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٤.

(٤) هو الفرج بن كنانة بن نزار بن غسان بن مالك من أهل شنونة Sidonia استقضاه الأمير الحكم بن هشام بقرطبة سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م وظل قاضياً إلى سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م، وتوفي سنة ٢١٥هـ / ٨٣٠م، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص ٢٧٥ ؛ النباهي، المرقبة العليا، ص ٥٣ - ٥٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢، ص ١٢.

ابن حيان بقوله ((...)) ، فقدمه - أي الفرّج بن كنانة - عبد الكريم بن عبد الواحد من أستورقة إلى جمع للنصرانية اجتمعوا لصدّه ، ففضّهم الفرّج وأذرع القتل فيهم...))^(١).

وبعد ذلك سار الجيش الإسلامي بقيادة عبد الكريم نفسه ، فدارت معركة شديدة بين الجانبين انتهت بهزيمة النصارى وتكبيدهم خسائر جسيمة ، وأسر جماعة منهم ، ثم تقدم المسلمون إلى مكان تواجد النصارى في وادي كرثيه Narcea الذي كانت تتجمع فيه قوات النصارى بقيادة غندماره Gondemar إذ بلغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف فارس لغرض قطع الطريق على الجيش الإسلامي أو منع تقدمه ، إلا إن المسلمين استطاعوا من الاشتباك معهم وهزيمتهم ، وتمكنوا من أخذ غندماره أسيراً بعد قتل الكثير من قواته^(٢).

وقد عرفت هذه المعركة باسم معركة الصخرة^(٣) ، ولعلها عرفت

بهذا الاسم نسبة إلى صخرة بلاي المعرفة باسم كوفادونجا.

كان لاستمرار هجمات المسلمين على مناطق الشمال الاسباني وبخاصة على مدينة أستورقة ، أن عمل النصارى على تحصين مدنهم والاهتمام بها ، فعندما تولى أردونيو الأول Ordono I (٢٣٦- ٢٥٢هـ/٨٥٠-٨٦٦م) حكم مملكة جليقية قام في بداية حكمه بتحصين المدن كمدينة أستورقة وسمورة ، وبناء الحصون المتاخمة

١ (المقتبس، ص ٢٢٠).

٢ (ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٦٤ - ٦٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٣٠).

٣ (التواتي، مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ص ٥٦٤).

لحدود المسلمين ، وذلك تأهباً للدفاع عن مملكته^(١).

ويبدو أن الصراعات الداخلية النصرانية التي حدثت على الحكم ، هي التي دعت المسلمين إلى التدخل ومهاجمة أستورقة ، فعند مجيء الفونسو الثالث Alfonso III (٢٥٢-٢٩٧هـ / ٨٦٦-٩٠٩م) إلى الحكم تأمر عليه أخوته من أجل خلعه ، ولكن هذه المؤامرة اكتشفت واستطاع الفونسو الثالث القبض على أخوته واعتقالهم ولم ينج منه سوى برمند Vermundo الذي تمكن من الفرار من مدينة أوبيط Oviedo إلى مدينة أستورقة واستقل بها مدة سبع سنوات وبمساعدة المسلمين^(٢).

وفي سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م ، حاول المسلمون غزو جليقية وأستورقة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٦م) ، ولا نستبعد أن يكون ذلك لغرض حماية برمند وبطلب منه^(٣) ، إلا إن ملك جليقية الفونسو الثالث تمكن من هزيمة المسلمين في موقعتين بالقرب من مدينة سمورة ، وأرغم أخاه برمند على الفرار من مدينة أستورقة بعد مهاجمتها والالتجاء إلى المسلمين^(٤).

١ (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص ٣٥٩ ؛ العمائيرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسيان، ص ٥٥ .

٢ (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص ٣٦١ ؛ الحججي، أندلسيات، ٤٧/٢، ص ٥٥، ٧٣ .

٣ (الحججي، أندلسيات، ٧٣/٢ .

٤ (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص ٣٦١ ؛ الحججي، أندلسيات، ٤٧/٢، ص ٥٥، ٧٣ .

ويبدو أن هجمات المسلمين على مدينة أستورقة توقفت لبعض الوقت ، وبخاصة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، للأسباب عدة منها اضطراب الوضع الداخلي للأندلس في بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) وانشغاله بالقضاء على الفتن^(١) ، وكذلك بروز دور مملكة ليون بغاراتها المتكررة على الأراضي الإسلامية ، وخاصة بعد أن أقامت على حدودها الجنوبية والغربية المتاخمة للمسلمين سلسلة من القلاع والحصون لحماية تلك الحدود^(٢) ، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما تجددت حملات المسلمين على مدينة أستورقة في عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦-١٠٠٨م) إذ برز محمد بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦-١٠٠١م) الذي يعد من كبار شخصيات الدولة الأموية في الأندلس ، وكان له دور كبير في عملية الجهاد الإسلامي ضد النصارى ، إذ تمكن من الوصول إلى أبعد نقطة في عمق الشمال الإسباني.

ففي عهده بلغت الحملات التي سيرت ضد النصارى أكثر من خمسين حملة^(٣) ، وأن أغلب هذه الحملات كانت تحت قيادته

(١) لمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٨/٢ ؛

ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص ٩٨- ٩٩.

(٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق ٢، ص ٣٧٨- ٣٧٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٤٨/٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢ ؛

ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

المباشرة^(١) ، فكان نصيب مدينة أستورقة منها ثلاث حملات ، الأولى هي الغزوة الحادية والثلاثين للمنصور بن أبي عامر ، إذ ذكرها مؤلف مجهول بقوله ((الحادية والثلاثون غزوة أستورقة ، نزل عليها وخربها ، وارتحل إلى طركونة^(٢) فخربها ، وحمل رخامها إلى قرطبة^(٣) ، وفتح عدة حصون وانصرف بالغنائم والسبي))^(٤) ، إلا أنه لم يحدد تاريخ هذه الحملة ، وذهب العليوي إلى أنها كانت في حدود سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م بقوله: إذا استقرئنا عدد الحملات التي قام بها المنصور بن أبي عامر بعد حملة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م وهي غزوة برشلونة Barcelona والتي تبلغ ثمان حملات ، وعلى اعتبار قيامه بحملتين في كل سنة يمكننا أن نرجح حدوثها كان في حدود سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م^(٥).

- ١ (ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤ .
- ٢ (تقع مدينة طركونة Tarragona في شمالي شرقي الأندلس على البحر المتوسط، وهي تتوسط بين مدينتي برشلونة Barcelon وطرطوشة Tortosa واشتهرت بوجود المعادن وخاصة الرخام، ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥ ؛ الحميري، صفة، ص ٤٢، ١٢٥ - ١٢٦ .
- ٣ (تعد مدينة قرطبة Cordoba قاعدة بلاد الأندلس وعاصمتها لمدة طويلة وكانت تجبى إليها خيرات كل الجهات لكونها دار الملك، ينظر: ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ الحميري، صفة، ص ١٥٣ - ١٥٨ .
- ٤ (تاريخ الأندلس، ص ٢٣٠ .
- ٥ (طركونة من الفتح حتى السقوط، مجلة أبحاث البصرة، المجلد ٣٧، العدد ٣، السنة ٢٠١٢م، ص ١٨٧ ؛ وينظر عن عدد الحملات التي قام بها المنصورين أبي عامر، السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٢ .

أما الحملة الثانية على مدينة أستورقة ، فكانت الغزوة الثانية والأربعون للمنصور بن أبي عامر ، والتي وصفها مؤلف مجهول بقوله ((الثانية والأربعون غزوة أستورقة وليون ، أتى فيها إلى مدينة ليون فوجدها خالية ، فاتبع اثر أهلها فلحقهم ، فأخذ من السبي ما لا يحصى ، وقتل كذلك وانصرف...))^(١) ، إلا أنه أيضاً لم يوضح لنا تاريخ هذه الغزوة ، ويمكننا أن نرجح تاريخها إذا استقرئنا الغزوة التي تليها وتاريخها والتي كانت هي الثالثة والأربعون للمنصور بن أبي عامر وقد عرفت بغزوة قشتيلة وتم فيها أسر بلاد البشكنس غرسيه شانجة الثاني Garcia Sanchez II من قبل المسلمين أثناء تجوله في أحواز بلاده ، وتتفق المصادر على أن تاريخ أسره كان في سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م^(٢) ، وعليها يمكن أن تكون غزوة أستورقة الثانية قد حدثت في سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ، أي قبل سنة واحدة من تاريخ أسر ملك البشكنس.

أما الغزوة الأخيرة للمنصور بن أبي عامر لمدينة أستورقة ، فقد علق عليها مؤلف مجهول بقوله ((السابعة والأربعون غزوة أستورقة الثالثة ، وفيها فتح المدينة وخربها وانصرف ، وفيها صالح المنصور ملوك جليقية

١ (تاريخ الأندلس، ص ٢٣١ .

٢ (الحميدي، جدوة المقتبس، ص ٢٣٦ ؛ الضبي، بغية الملتبس، ص ٢٩٩ ؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٣١ ؛ وينظر أيضاً: العليايوي، البشكنس، ص

على أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون))^(١) ، وأيضاً لم يحدد تاريخ هذه الغزوة ، والراجح أنها حدثت ما بين نهاية سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م وبداية سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ، خاصة وأن التاريخ الأخير حدثت فيه غزوة شنت ياقب ، وهي الغزوة الثامنة والأربعون للمنصور بن أبي عامر والتي تتفق المصادر على أنها كانت في سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م^(٢) ، وربما بعد هاجم المنصور بن أبي عامر مدينة أستورقة توجه إلى مدينة شنت ياقب وقام بالسيطرة عليها وتدميرها ، خاصة وأن المسافة بينهما تكون قريبة ، لأنهما يقعان في الشمال الغربي للأندلس.

ولعل حملات المنصور بن أبي عامر المتكررة على مناطق الشمال الإسباني ومن ضمنها مدينة أستورقة هي التي دعت النصارى إلى توحيد جهودهم العسكرية ضد المسلمين ، فعقدوا تحالف ضم الممالك النصرانية (ليون وقشتالة والبشكنس) وكافة المقاطعات النصرانية الأخرى ، وقد شارك فيها رجال الدين النصارى من الأساقفة والقسيسين الذين ساروا في مقدمة القوات لإعطائها حماساً بعد أن لبسوا عدة الحرب ، وحملوا السلاح^(٣) ، ولا نستبعد أن شارك نصارى أستورقة في هذه الحرب ، إذ اتفق النصارى جميعاً

١ (تاريخ الأندلس، ص ٢٣٤ .

٢ (الحميري، صفة، ص ١١٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٩٤ - ٢٩٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ٦٧ - ٦٨ ؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٣٤ ؛

المصري، نفع الطيب، ١/٤١٣ - ٤١٦ .

٣ (أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

من حيز بنبلونة إلى أستورقة على المقاومة والثبات وتحريم الفرار^(١).
وقرر المنصور بن أبي عامر مواجهة ذلك التحالف ، فقاد حملة
عسكرية إلى الشمال الاسباني ، واصطدم معهم عند وادي نهر
دويرة خلف الحاجز الجبلي الوعر المسمى صخرة جرييرة Pena
Cervera ، وحدثت المواجهة بين الطرفين سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م ،
انتهت بهزيمة النصارى وتكبيدهم خسائر كبيرة ، أما خسائر
المسلمين فكانت أقل من ذلك بكثير^(٢).

١ (ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٦٩.

٢ (لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ٦٩ - ٧٢ ؛
النباهي، المرقبة العليا، ص ٨٢ - ٨٣.

الخاتمة

كانت مدينة أستورقة تشكل إحدى مدن الثغور الأندلسية المهمة الواقعة في منطقة جليقية شمالي نهر دويره ، وتم فتحها على يد القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد في سنة ٩٤هـ / ٧١٢م ، واستوطنها المسلمون من اغلبهم من البربر وعدد أقل من العرب ، وخلال عهد الإمارة ساهموا في الدفاع عن ذلك الثغر ، إذ شهدت المناطق المقابلة لها بروز أولى حركات المقاومة النصرانية.

إلا أن الوجود الإسلامي فيها لم يستمر طويلاً وذلك بسبب الاضطرابات والفتن التي اجتاحت الأندلس في نهاية عهد الولاة مما أدى إلى نشوب الحروب بين العرب أنفسهم (القيسية واليمانية) تارة وبين العرب والبربر تارة أخرى ، فضلاً عن العوامل الطبيعية إذ اجتاحت الأندلس موجة من الجفاف أدت إلى حدوث مجاعة ، مما أدى إلى هجرة أعداداً كبيرة من سكان تلك المناطق ، وهو ما فسح المجال للقوى النصرانية الناشئة إلى ملء الفراغ والسيطرة على معظم المناطق الواقعة شمال نهر دويره حيث دفعوا المسلمون جنوباً ، وكان ذلك في حدود سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م ، وبعثاً حاول

المسلمون استعادتها على الرغم من المحاولات العديدة التي تم فيها
اقتحامها والتي استمرت حتى وفاة المنصور ابن أبي عامر سنة
٣٩٢هـ / ١٠٠١م ، ولم نعد نسمع بعد هذا التاريخ من تمكن من
الوصول إليها.

مصادر ومراجع مدينة أستورقة

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م)
- ١- الحلة السیراء، تحقیق حسین مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن الأثیر، علی بن أبی الکریم عبد الکریم الجزری (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)
- ٢- الکرامل فی التاریخ، تحقیق خیری سعید، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الإدریسی، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمیري
الحسني (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).
- ٣- نزهة المشتاق فی اختراق الآفاق، ط١، عالم الکتب، بیروت، ١٩٨٩م.
أرسلان، شکیب
- ٤- تاریخ غزوات العرب فی فرنسا وسویسرا وإيطاليا وجزائر البحر
المتوسط، مطبعة عیسی البابی الحلبي، مصر، ١٩٣٣م.
- ٥- الحلل السندسية فی الأخبار والآثار الأندلسية، ط١، المكتبة
الرحمانية، مصر، ١٩٣٦م.
- البکري، أبو عبد الله بن عبد العزیز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)
- ٦- جغرافية الأندلس وأوربا من کتاب المسالك والممالك، تحقیق عبد
الرحمن علی الحجی، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بیروت، ١٩٦٨م.
- التواتي، عبد الکریم
- ٧- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ط١، الدر البیضاء، ١٩٦٧م.
الحایک، سیمون

- ٨- عبد الرحمن الداخل صقر قريش قصة وحضارة، لبنان، ١٩٨٢م.
الحجي، عبد الرحمن علي.
- ٩- أندلسيات، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٩م.
- ١٠- التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ/
٧١٠- ١٤٩١م) ط١، بغداد، ١٩٧٦م.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
١١- جذوة المقتبس في ذكر ولادة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل
الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط١،
بيروت ٢٠٠٤م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي
٧١٠هـ/١٣١٠م)
- ١٢- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر
الأقطار، نشرها وصححها وعلق حواشيتها -إ- ليفي بروفنسال، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
١٣- المقتبس من أبناء أهل الأندلس، السفر الثاني، (للحقة ١٨٠-
٢٣٢هـ/٧٩٦-٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.
- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني (ت ٧٧٦هـ/
١٣٧٤م).
- ١٤- أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام المسمى
بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق -إ- ليفي بروفنسال، دار
المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
- ١٥- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، دار

- إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.
- الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣ م)
- ١٦- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت كان حيا سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥ م)
- ١٧- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- سالم، عبد العزيز
- ١٨- تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.
- السامرائي، خليل إبراهيم.
- ١٩- الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥ - ٣١٦هـ / ٧١٣ - ٩٢٨م، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦م.
- السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
- ٢٠- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.
- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى بن عميرة (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢ م)
- ٢١- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.
- طه، عبد الواحد ذنون.
- ٢٢- دراسات أندلسية ط١، الموصل، ١٩٨٦م.
- ٢٣- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح
- ٢٤- أوربا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط٩، مكتبة الانجلو

مصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

ابن عذاري المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٧١٢هـ / ١٣١٢م)
٢٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س
كولان وإ- ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م، ج ٢. ٣،
تحقيق إ- ليفي بروفنسال، بيروت، د.ت.

العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)

٢٦- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتوزيع الآثار
والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد
العزیز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.
العلياوي، حسين جبار مجيتل

٢٧- البشكنس دراسة تاريخية في أحوالهم العامة في الأندلس حتى سنة
٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة
البصرة، ٢٠١١م.

٢٨- طركونة من الفتح حتى السقوط (٩٤- ٤٨٣هـ / ٧١٢- ١٠٩٠م)
مجلة أبحاث البصرة، المجلد ٣٧، العدد ٣، السنة ٢٠١٢م.

العميرة، محمد نايف جريوان

٢٩- مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، رسالة ماجستير غير
منشورة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.
عنان، محمد عبد الله.

٣٠- دولة الإسلام في الأندلس، ط ٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.

ابن غالب، محمد بن أيوب (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م)

٣١- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي
عبد البديع، القاهرة، ١٩٥٦م.

غريال، محمد شفيق (إشراف)

- ٣٢- الموسوعة العربية الميسرة، ط٢، دار الشعب ومؤسسة فرنكين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.
- أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٣٣- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
- ٣٤- تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)، تحقيق رويحة عبد الرحمن السويضي رويحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م)
- ٣٥- القاموس المحيط، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٢م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م).
- ٣٦- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).
- ٣٧- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- ٣٨- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م.
- كحيلة، عبادة عبد الرحمن رضا
- ٣٩- الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ط١، القاهرة، ١٩٩٥م.
- كراتشوفسكي، أغناطيوس يولييانوفتش
- ٤٠- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، ١٩٦٣م.
- مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
- ٤٠- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله

- والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
- مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
- ٤١ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ / ١٦٣١م).
- ٤٢ - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- مؤنس، حسين.
- ٤٣ - فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢ - ١٣٨هـ/٧١٠ - ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.
- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م)
- ٤٤ - تاريخ قضاة الأندلس المسمى بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، بيروت، د. ت.
- النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)
- ٤٥ - تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (أفريقية والمغرب - الأندلس - صقلية واقريطش ٢٧ - ٧١٩هـ/٦٤٧ - ١٣١٩م)، من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د. ت.
- هنتس، فالتر
- ٤٦ - المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان، ١٩٧٠م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)
- ٤٧ - الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.

المحتويات

المقدمة

مدينة لاردة

الجغرافية التاريخية لمدينة لاردة

التاريخ السياسي لمدينة لاردة

الحياة الفكرية

مصادر ومراجع مدينة لاردة

مدينة بياسة

الجغرافية التاريخية لمدينة بياسة

التاريخ السياسي لمدينة بياسة

الحياة الفكرية

مصادر ومراجع مدينة بياسة

مدينة أستورقة

الجغرافية التاريخية لمدينة أستورقة

التاريخ السياسي لمدينة أستورقة

مصادر ومراجع مدينة أستورقة

